جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

مذكرة ماستر

الفرع: تاريخ
التخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب (ة):

- تواتـــــي سعـــــاد

يوم: //

مدينة القيروان ودورها الحضاري على بلاد المغرب الاسلامي من القرن الأول إلى الرابع هجري السادس إلى العاشر ميلادي

لجنة المناقشة:

أ.م نفطي وافية	**محمد خيضر بسكرة**	**رئيسا**
أ.م علي بلدي	**محمد خيضر بسكرة**	**مناقشا**
أ.م فتيحة شلوق	**محمد خيضر بسكرة**	**مشرفا**

السنة الجامعية : 2022- 2023

بسم الله الرحمن الرحيم

شـــكـــر و عـــرفـــان

الشـكر لله أولا وأخيرا الذي وفقنا إلى إنجاز هذا العمل،

ثم الشكر الموصول إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة "فتيحة شلوق"

التي تعهدتنا بالرعاية الدائمة والتوجيه المستمر طيلة أيام إنشاء هذا العمل،

لها جزيل الشكر والاحترام الكبير ...

كما أتقدم الشكر خاص لزوجي رفيق حياتي كان له فضل إتمام هذا العمل

والشكر والعرفان لكافة أساتذة التاريخ بقسم العلوم الإنسانية

بجامعة محمد خيضر بسكرة – قطب شتمة–

على كل توجيهاتهم طيلة مشواري الدراسي

تـــواتـــــي سعـــــاد

إهـــــداء

إلى من ربياني صغيرا وأحسنا تربيتي وعلماني أن الأعمال لا تتم إلا بالصبر والعزيمة

أمي وأبي الغاليين أمدهما الله بعمر وصحة والعافية

وإلى زوجي العزيز "ناصر مزغيش" وابنتي الغالية إسراء

وإلى كل العائلة فردا فردا

وإلى إخوتي الغاليين "محمد صالح" و "سامية" و "عبير" و "سعيد" و "تهى"

و "عبد الحفيظ" و "جمانة"

وإلى براعمنا الصغار: هبة الرحمان ومريم بتول وأبرار

وإلى أستاذتي الغالية والتي كانت سند في مشواري لاجتاز هذه المذكرة

مشرفتي العزيزة "شلوق فتيحة"

وإلى أصدقائي، وخاصة صديقتي ورفيقة الطفولة وئام تراكة وإلى أمينة صبة

وإلى كل من تربطني به رابطة صداقة وصلة الرحم

أهديكم عملي المتواضع

أتمنى لكم جميعا التوفيق والنجاح في الحياة

تـــــواتـــــي سعـــــــاد

فهـــــرس المختصـــــرات

اللغـــــة	الـرمـــــز	المـــدلـــــول
عربـيـــــة	تر	ترجمة
	تح	تحقيــق
	ج	جـــــزء
	مج	مجلــد
	(د.ت)	دون سنــة
	(د.د.ن)	دون دار نشــر
	ص	صفحة
	ط	الطبعــة
	هـ	هجــري
	م	ميــلادي
أجنبيـــــة	P	Page

مقدمـــــــة

اتخذ الفاتحون المسلمون أثناء عملية الفتوحات الاسلامية في بلاد المغرب عدة مراكز عسكرية كانت البداية عبارة عن أماكن عسكرية غير مستقرة بهدف توفير أماكن لإقامة الجند وإمدادهم بالعتاد، وقد تحولت هذه المعسكرات فيما بعد إلى مدن . ومن بين المدن التي كان وراء إنشائها الدافع العسكري الدفاعي في بلاد المغرب الاسلامي مدينة القيروان بالمغرب الأدنى، وذلك يعود إلى عندما توجه عقبة بن نافع الفهري إلى بلاد المغرب، واستمرت فتوحاته إلى من (50 هـ لـ 55 هـ و 62 هـ لـ 69 هـ)، كان لابد من ايجاد معسكر لاستقرار جنوده واستراحتهم وهذا يعتبر أهم عامل في بناء هذه المدينة التي أصبحت فيما بعد مركز للحضارة الاسلامية في بلاد المغرب الاسلامي، وبدأت افريقية الاسلامية عهدا جديدا مع عقبة بن نافع الذي أسس مدينة القيروان وبنى جامعها، وقد مهد عقبة قبل بناء المدينة لجنوده بقوله: " إن افريقية إذا دخلها إمام أجابوه للإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر فأرى لكم يا معشر المسلمين إلى آخر الدهر..."[1]، وكان بناؤها بداية لأكبر تحول في تاريخ المغرب الإسلامي وحضارته، ولقد وفقه الله في اختيار موقع بنائها، وأصبحت مدينة القيروان منطلقا للفتوحات وظلت عاصمة للبلاد ومركزا لحضارة اسلامية مغربية، ومن هنا جاء موضوعنا الموسم بـ: مدينة القيروان ودورها الحضاري في بلاد المغرب خلال القرن الأول هجري إلى الرابع هجري والسابع ميلادي إلى العاشر ميلادي ولمعالجة هذا الموضوع قمنا بطرح الاشكالية التالية:

فيما تمثلت التأثيرات الحضارية لمدينة القيروان في بلاد المغرب الاسلامي؟

– الأسئلة الفرعية هي: كيف تم الفتح الاسلامي لإفريقية وتأسيس مدينة القيروان؟

- ما هو الدور العسكري والسياسي والاقتصادي لمدينة القيروان في بلاد المغرب وآثاره الحضاري؟

1– ابن العذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط2، ج1، تح: كولان، والفي بروفينسال، دار الثقافة، بيروت–لبنان، 1980، ص 19.

- ما هو الدور العلمي والاجتماعي والعمراني لمدينة القيروان وآثاره الحضاري؟

أسباب اختياري لهذا الموضوع:

*** أسباب موضوعية:**

– محاولة توضيح أهمية مدينة القيروان في العالم الإسلامي وإبراز دورها الحضاري.

*** أسباب ذاتية:**

– الرغبة الشخصية في التعرف على مدينة القيروان التي هي من أهم مدن المغرب الإسلامي ودورها الحضاري في بلاد المغرب الإسلامي خاصة بالمغرب الأدنى.

أهمية الموضوع:

تتمثل أهمية الموضوع في أهمية الجانب الحضاري للمدينة دورها حضاري كبير وهو موضوع لديه أهمية كبيرة ببلاد المغرب الاسلامي.

أهداف اختيار الموضوع:

التعريف بالمدينة وعلى دورها الحضاري سواء العسكري أو السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو العمراني، وآثارهم على بلاد المغرب الاسلامي وبالتحديد المغرب الأدنى.

المنهج المتبع:

لمعالجة موضوعنا هذه حول بناء مدينة القيروان ودورها الحضاري اتبعنا المنهج:

التاريخي: نظرا لطبيعة الموضوع والذي يتطلب سرد الأحداث وتتبعها والتأريخ لها.

الوصفي: من خلال استخدامنا لوصف المدينة بالإضافة إلى رصد الدور السياسي والاقتصادي للمدينة ووضعية العمران.

الدراسات السابقة:

تمثلت الدراسات السابقة في مجموعة من الرسائل الجامعية مجلات ومراجع منها ما تحصلنا عليها وأخرى لم نتمكن من الحصول عليها نذكر منها:

– محمد زيتون، مدينة القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية حيث ساعدني في الدور السياسي لترتيب الولاة بني أمية وبني عباس.

– مجلة سحر عبد المجيد المجالي، القيروان ودورها العسكري والعلمي، العلوم الإنسانية، العدد2، 2013 حيث ساعدتني في الدور العسكري للمدينة والدور العلمي وآثاره.

– فطيمة مظهري، المظاهر الحضارية في القيروان وتيهرت إبان القرنين الثاني والثالث الهجريين، رسالة جامعية لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية قسم التاريخ، 2 سنة 2015 حيث اعتمدت عليها في الدور العمراني.

تقييم الموضوع:

قسمت موضوعي وفق خطة بحث حيث تمثلت في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ومجموعة من الملاحق التي توضح المدينة، كانت بداية في عمل المقدمة عرفنا فيها الموضوع من خلال طرحنا للإشكالية وتبيين أهمية وأهداف الموضوع، ثم الفصل الأول الذي جاء تحت عنوان: الفتح الإسلامي لإفريقية وتأسيس مدينة القيروان والذى تحدثنا فيه عن بداية دخول الفتح إسلامي وثم عن

دوافع بناء مدينة القيروان كانت على شكل مراحل حركة فتح ودوافع هي الأسباب التي دعت عقبة لتأسيس مدينة القيروان ثم بناء المدينة، والفصل الثاني جاء تحت عنوان الدور العسكري والسياسي في بلاد المغرب وآثاره الحضاري، حيث شهدت القيروان دور كبير في الجانب العسكري، في عملية الفتح الإسلامي وكان لها فضل في نشر الإسلام وتعليم اللغة العربية ببلاد المغرب الإسلامي والدور السياسي حيث كان للحكام أثر كبير لمدينة القيروان في عهد بني أمية وبني العباس وعهد دولة الأغالبة والعهد الفاطمي حيث شهدت ازدهار وتطور المدينة والدور الاقتصادي حيث كان هناك تطور كبير في الزراعة والصناعة والتجارة ثم جاء الفصل الثالث تحت عنوان: الدور العلمي والاجتماعي والعمراني لمدينة القيروان آثاره الحضارية حيث تحدثت عن الدور وآثاره الحضاري الذي كان تأثير والدور الاجتماعي جاء فيه كان دور المرأة القيروانية وطبقات المجتمع وكان حال اللباس والطعام متنوع الذي كان في مدينة القيروان، ثم جاء الدور العمراني حيث جاء فيه عن التطور والازدهار العمراني وأسباب ازدهار العمارة ووصف مسجد القيروان...

معتمدة في ذلك على العديد من المصادر المتنوعة من كتب العمران والجغرافيا الرحلات والتاريخ، نذكر أهمها:

- كتب الجغرافيا: كتاب المسالك والممالك أبي عبيد البكري (487 هـ- 1094م) وهو كتاب لا غنى عنه لمن رام دارسة مدن المغرب وتاريخها فقد جمع بين المعطيات الجغرافية والتاريخية رغم أن البكري لم يزر القيروان ورغم تأخره إلا أنه أمدنا بمعلومات دقيقة.

- كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ت (378هـ-988م) الذي بظهور كتابه تقدمت الجغرافيا الوصفية تقدما كبيرا في القرن الرابع الهجري فقد دون ملاحظات حول القيروان

ووفرة المواد المعيشية بها ورخصها ومواجل الماء وطول المدينة وعرضها البناء المستعملة أبوابها كما وعرضها مواد البناء المستعملة كما عرف بإنتاجها الزراعي ومكابيل القيروان.

– كتب الطبقات والتراجم: تكتسي أهمية كبيرة مثل كتاب طبقات علماء افريقية وتونس. لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام التميمي (333 هـ – 944م) وهو حسب الدباغ رافع لواء التاريخ بإفريقية مع تقدمه في علم الأثر وبصره بالفقه ومعاني الحديث وقد أفادنا في تاريخ الفتح والقبائل وطبقات في علاقة مع مجتمع القيروان في القرون الثلاثة الأولى في الدور الاجتماعي وكذلك في الدور الاقتصادي حيث يذكر أنواع الحرف والأغذية وهو ما تملكه كتب الطبقات الأخرى مثل طبقات علماء افريقية للخشني ت (371 هـ– 981م) وخاصة رياض النفوس للمالكي ت(450 هـ– 1058م) الذي يتميز بذكر مصادره المشرقية (ابن خيلط ابن عبد الحكم).

– كتاب فتوح البلدان للبلاذزي (ت279هـ– 892م) والذي يعتبر أول من أشار إلى حادثة العباسية وعنه أخذها المؤرخين كابي لأثير وابن خلدون وغيرهم وأمدنا بأخبار الفتح وتمصير القيروان والجيوش الوافرة في دور العسكري.

– وكتاب تاريخ افريقية والمغرب لابن ابراهيم بن القاسم المشهور بالرقيق القيرواني (ت417هـ– 1029م)، يحتوي مؤلفه أحداث أواخر القرن الأول الهجري وأواخر القرن الثاني في فترة الفتح الاسلامي، ويإكر أخبار دخول الاباضية إلى طرابلس والقيروان وأمدنا بأخبار الفتوحات.

– وكتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن عذاري المراكشي (ت712هـ– 1313م)، تناول فيه تاريخ المغرب والأندلس، ولقد ساعدنا في العديد من المعلومات حول مدينة القيروان وتكملة لما أوردته المصادر حول الموضوع، استعنا بمجموعة من المراجع والدراسة الحديثة في تاريخ حضارة مدينة القيروان نذكر بعضها:

1- محمد طالبي، تأسيس القيروان وتمصيرها الحياة الثقافية.

2- أحمد فكري، كتابه: (المسجد الجامع بالقيروان، آثار تونس الإسلامية، مصادر الفن الاسلامي) والذي ساعدنا في الجانب العمراني.

3- محمد محمد زيتون: مدينة القيروان ودورها الحضاري الاسلامي الذي ساعدني كثيرا من بداية عملي إلى نهايته.

الفصل الأول :
الفتح الإسلامي الافريقية وتأسيس مدينة القيروان

أولا : فتح افريقية مراحل الفتح

ثانيا: الأسباب التي دعت عقبة لتأسيس القيروان

ثالثا: اختبار مكانها وأسباب

رابعا: بناء مدينة وتخطيط عقبة للقيروان

أولا: فتح افريقية مراحل الفتح:

تركزت المحاولات التمهيدية الأولى للفتح الاسلامي في البلاد المغرب منذ خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى قيام الدولة الأموية في برقة باعتبارها جزءا من أرض أو ولاية مصرية[1]، وطرابلس وافريقية فقط[2]، ولم تكن هذه المحاولات سوى غارات سريعة لم يحظى المغرب الأوسط بشيء منها، فهي لم تحقق للمسلمين استقرارا يمكنهم من تعريف أهل البلاد بالإسلام وما يحمله من مبادئ سامية، كما أن هذه الغارات لم تقض على الروم التي مثلت عقبة في سبيل انتشار الإسلام وتثبيت دعائم الفتح[3]، وتعد حمله معاوية بن حديج السلوني[4] آخر غزوة من الغزوات التمهيدية التي قام بها العرب في المغرب قبل أن يتخذوا قرارا نهائيا بفتح هذه البلاد فتحا دائما ثابتا، لذلك كان على الخلافة الأموية بعد أن استتبت الأمور في يد معاوية بن أبي سفيان 41هـ/661 م (ملحق1).

1- يوسف علي بدوي، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، صفحات من التاريخ الاسلامي تاريخ ورجال الناشئة، الأصالة، الجزائر، ط1، 1431هـ/2010، ص 13.

2- للمزيد عن هذه الفتوحات وعن المحاولات التمهيدية في كل من برقة وطرابلس افريقية، ينظر: ابن عبد الحكيم، فتوح افريقية والأندلس، تقديم: عبد الله أنس الطباع، المكتبة المدرسية، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1964، ص ص 27-36.

3- محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط 3، 1987، ص 25.

4- أمير صحابي، إلى مصر ومن شاهد حرب السقيين في جيش معاوية بن أبي سفيان ولى فتح المغرب واستولى على صقلية وفتح بنزرت وكان عاقلا واسع العلم، توفى سنة 52هـ. ينظر: أبي دينار: المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تح وتعليق: محمد الهشام، المكتبية العتيقة، تونس، ص 27-28.

أن تتبنى سياسة جديدة تستهدف الفتح المنظم لبلاد المغرب[1]، كما تنبهت الخلافة الأموية إلى أهمية افريقية وضرورة مواصلة الفتوح فيها، لأن فيها كثيرا من البربر كانوا قد أسلموا في ذلك الحين ولا يستبعد أن يكون الكثيرون من العرب قد تخلفوا في افريقية لتعليم البربر قواعد الإسلام[2].

ولكي يبدأ الفتح المنظم والمستمر لافريقية كان لابد لها من والي خاص بها يتولى قيادة الفتوح فيها، ويقوم بوضع أسس الحكم الإسلامي فيها كان يجعلها ولاية من ولايات دولة الإسلام، فكانت البادرة الأولى في هذه السياسة الأموية أن ولي معاوية بن أبي سفيان عقبة بن نافع[3] قيادة عمليات الفتح في بلاد المغرب سنه 51هـ/670م، أمده بعشرة آلاف فارس كانت تلك بداية مرحلة الفتح المنظم لبلاد المغرب امتدادا الولاة الذين قادوا هذا الفتح المنظم نذكر منهم.

1- ولاية عقبة بن نافع الأولى (51-55هـ/670-675م)[4]

وصل عقبة بن نافع الفهري إلى افريقية

في عشرة آلاف من المسلمين ففتحها ودخلها فوضع السيف في أهلها فأفنى من بها من النصارى، ورأى عقبة أن فتح تلك البلاد ينبغي أن يتم في إطار الخطة العامة التي تقوم على تأسيس قاعدة ثابتة يستقر فيها المسلمون ثم يتبعون منها الغزو ونشر الإسلام حيث قال:" أن

1- يوسف علي بدوي، المرجع السابق، ص 17.

2- المرجع نفسه، ص 17.

3- عقبة بن نافع، فاتح من كبار القادة في صدر الاسلام وهو فاتح القيروان وشهد فتح مصر، وبنى مسجد عقبة في القيروان، سنة 63 هـ، مدينه تمودا، ينظر: (ابن عذراء المراكشي)، المصدر السابق، ص 19-20.

4- النويري، نهايه الأرباب في فنون الأدب، تح وتع: مصطفى أبو حنيف أحمد، النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، د.ت، ج 22، ص 95.

افريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام فان خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر فأزكى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر"[1] وقع اختيار عقبة على مكان لهذه القاعدة التي سماها القيروان[2]، وشرع في بنائها بعد أن فرغ من فتح افريقية وقضى على مقاومة الروم وبربرها سنه51 هـ- 676 م[3].

بعد فراغ عقبة بن نافع من إنشاء تلك القاعدة بدأ تعد لمواصلة الفتوح إذ أنه طمأن إلى أنه أنشأ للمسلمين قاعده يحكم منها البلاد التي يفتحها وتصدر منها بقيه عمليه الفتح.

أي أن عقبة بعمله هذا قد جعل افريقية ولاية إسلامية جديدة لأنه ما دام قد أنشأ بها مسجدا جامعا ودارا للإمارة فقد أصبحت المنطقة كلها جزءا من الدولة الإسلامية ولا يجوز بعد ذلك للمسلمين أن يتخلوا عنها[4]، فقد انسحب العرب قبل ذلك من افريقية إلى برقة ثم إلى مصر أما الآن فلابد لهم أن يثبتوا وأن يدافعوا عن قاعدتهم وإن فقدوها لسبب ما فيجب عليهم أن يستعيدوها مرة أخرى لأنها جزء من الديار الإسلامية.

من هنا يتبين لنا أهمية العمل الذي قام به عقبة بن نافع والذي يعد بحق من أعظم فاتحي المغرب وواحد من أكبر بناة الدولة الإسلامية، ولا يقارن عقبة في هذا المجال إلا بـ "قتيبة بن

1- ابن العذاري، المصدر السابق، ص 19.

2- القيروان: لفظ قيروان فارسي معرب أصله كروان أو كربان ومعناه قافلة وتعني مكان السلاح ومجط الجيش أو استراحة القافلة، ينظر: الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجميي، تح: خليل عمران منصور، دار دمشق، ط1، 1410هـ، 1990، ص 254.

3- الدباغ: معالم الايمان في معرفه أهل القيروان، ج1، تح: محمد ماظور ومحمد الاحمدي أبو النور، مكتبه الخانجي، مصر، ص 98 .

4- علي بدوي عصر الدويلات الاسلامية، المرجع السابق، ص 20.

مسلم الساهلي" الذي تولى مهمه الفتح في الجناح الشرقي لدولة الإسلام، وإليه يرجع الفضل في[1] التغلب على المقاومة الأتراك، بلادهم للإسلام والوصول إلى كشافة سنة 96هـ- 714م وهي أدنى مدائن الصين[2]، انشغل عقبة بتأسيس القيروان أكثر من أربع سنوات، تغيرت خلالها الأمور في البلاد، وأصبحت الأوضاع تقتضي تغير في الولاية وكان مسلمة بن مخلد الأنصاري والي[3] مصر أحسن لقربه من بلاد المغرب أن الأمور تتغير في تلك البلاد لغير صالح المسلمين نتيجة للسياسة الجديدة التي اتبعها الامبراطور قسطنطين الرابع، أصدر أوامره بمنع الاصطفاف الديني بأهالي المغرب في تكوين جبهة داخلية قوية لمقاومة المسلمين تضم الروم مع بربر الغربي الأوسط[4].

وأمام هذه التطورات سعى مسلمة ابن مخلد إلى عزل عقبة عن المغرب وتولي رجل من أتباعه يسمى دينار أبا المهاجر (سنة 55 هـ/676م)[5].

2- ولاية أبي المهاجر دينار الأنصاري:

لقد أجمعت المصادر على أن أبي المهاجر أساء عزل عقبة أخرجه إلى المشرق في حراسة مشددة وكره أن ينزل الموضع الذي اختطه عقبة وبعد عن القيروان وبنى مدينة أسماها تيكروان وحزب قيروان عقبة وأمر الناس بعمارة مدينته[6].

5-قتيبه بن مسلم: واللاه الحاج واليا على خراسان سنه 86 فعرض الجنده وحيث على وحث على جهاد ساره غازيا، كاشان من غرناطه سومان من طخرستان قام بغزو بخاري. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر والديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر من عصرهم السلطان الأكبر، م1، دارين حزم للطباعه والنشر، ط1، بيروت، 2003، ص ص 1017-1018

2- عبد الرحمن بن خلدون، المرجع السابق، ص 1024.

3- يوسف علي بدوي، المرجع السابق، ص 20.

4- محمد عبسي الحريري، المرجع السابق، ص 27.

5- ابن العذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 21 ابن أبي دينار المؤنس، المصدر السابق، ص 29.

6- المرجع نفسه، ص 22.

إلا أنه تبين أن أبا المهاجر بن دينار من خيرة الولاة فقط انتهج سياسة جديدة في الفتح فتقرب من البربر لحزب تحالفهم مع البيزنطيين من جهة كسب مودتهم من جهة أخرى[1]، ونجح أبو المهاجر دينار الأنصاري في نقل عملياته العسكرية إلى القسم الشرقي من المغرب الأوسط حتى بلغت تلمسان أين كانت توجد منازل أكبر قبائل البربر البرانس وهي أورية[2] والتي كانت تسيطر على كامل المغرب الأوسط، يتزعمها زعيم بربري يسمى "كسيلة بن ملزم" ونظرا لحسن سياسته استطاع استمالته واجتذابه إلى الدخول في الإسلام هو وعدد كبير من البربر في سنة 59هـ/678م، اتجه أبو المهاجر دينار الأنصاري إلى قرطاجة التي كانت تمثل أقوى معاقل الروم في الشمال الافريقي وحاصرها حصارا شديدا ولم يرفع عنها الحصار إلا بعد أن تنازل الروم عن جزيرة شريك[3].

3- ولاية عقبة بن نافع الثانية على افريقية 62هـ:

لقد أثمرت جهود أبي المهاجر دينار في المغرب الأوسط بدخول الكثير من أهله في الإسلام إلا أن عقبة بن نافع كان قد استطاع إقناع السلطات المركزية في دمشق بالعودة الى القيادة في

1- محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 28.

2- يوسف علي بدوي، عصر الدويلات الاسلامية، المرجع السابق، ص 21.

3- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص 1571.

بلاد المغرب[1] بدلا من أبي المهاجر، فسار عقبة بن نافع نحو افريقية خلفا على أبي المهاجر، فلما بلغها أوثق أبا المهاجر في الحديد وأمر بتخريب مدينته التي بناها وأعاد الناس إلى القيروان وعمروها وأجمع عقبة على الغزو في سبيل الله.

واستخلف زهير بن قيس البلوي على القيروان[2] واندفع عقبة بن نافع في عسكر عظيم أحرز النصر تلو النصر في قتاله الروم والفرنجة وفتح حصونهم مثل لميس[3] باغاية[4] وتيهرت وفتح اذنة قاعدة الزاب بعدما هزم ملوكها وأهاب من غنائمهم، توجه إلى المغرب ففتح مدينة سبتة وطنجة فأطاعه الملك بليان وهاداه واتحفه ودله على بلاد البربر وراءه بالمغرب مثل بلاد المصامدة وبلاد السوس[5] حتى وصل إلى البحر المحيط وقفل راجعا وأذن لجيوشه اللحاق بالقيروان[6] أن عملياته الحربية قد انتهت فارتد بسرعة إلى افريقي، ويبدو صحيحا أن عقبة رفع في تأثير الأغراء الجغرافي لامتداد المغرب بين الأوسط والأقصى بقوته دون أن يوفر لهما حماية بحرية أن يضع لنفسه خطة

1- وقد ذكر ابن أبي دينار أن عقبة لما رجع إلى المشرق سكر إلى معاوية فما فعله أبو المهاجر دينار الأنصاري فوعده بالرجوع إلى عمله بعد وفاه معاوية سنة 60 هجري تولى الخلافة من بعده يزيد الذي ولا سنة 62 هجري على بلاد افريقية والمغرب كله عقبة بن نافع الفهري وهي ولايته الثانيه، ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ص 23.

2- ابن العذارى، المصدر السابق، ص 23 ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 30.

3- لميس: من أعظم مدائن الروم ينظر: ابن أبي دينار، المصدر السابق ص 30.

4- مدينه كبيره في أقصى افريقية بين مجانا وقسنطينة، وهي قريبه من جبال الأوراس, ياغوت الحموي، معجم البلدان، ح1،ج2، ج3، دار صادر، بيروت، 1995، ص 114.

5- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 1572.

6- الدباغ، المصدر السابق، ص ص 48 - 49.

محددة الأهداف تؤمن ظهر قواته في تقدمها ورجوعها وترك بذلك جيوبا كثير للأعداء يتحصنون بها خلف ظهره[1].

تجمعت هذه الجيوب بعد ذلك وقضت عليه في يسر وسهولة وفي طريق عودة لافريقية عندما وصل إلى مدينه طبنة[2] وحتى يتواطئ الروم مع البربر حيث طمر آبار المياه في طريق عودته لذا أمر جنوده أن يتقدموا فوجا بعد فوج إلى القيروان وساروا إلى تلموذة[3] لحراسة مؤخرة جنده، فلما توسط البلاد بعث الروم إلى كسيلة الأوروبي الذي كان ضمن قوات عقبة وكان قد ضاق ذرعا بسوء معاملة عقبة له، وكما يذكر ابن خلدون" وكان كسيل ملك أوربة والبرانس من البربر قد اضطر عليه عقبة بن نافع بما كان يعامله من احتقار يقال أنه كان يحاصره في كل يوم ويأمره بسلخ الغنم إذا ذبحت لمطبخه"[4]، فانتهز فيه الفرصة واتفق كسيلة مع البربر واعترضوا عقبة في تهودة وقتلوه هو وثلاثمئة من أصحابه من بينهم أبو المهاجر دينار الأنصاري سنة 55هـ لـ 61 هـ / 776 م لـ 681 م[5].

وتطورت الأحداث بسرعة في القيروان فقد وصلتها أنباء موقعه تهوذت وكان لها وقع سيء على المسلمين وعظم البلاء عليهم، وكان الجند عائدون وقد نالهم التعب والإرهاق لذلك فضلوا

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 1572 - 1573.

2- طبنة: بلد في أرض افريقية على ضفة الزاب، ينظر: ياقوت الحمودي، المصدر السابق، ص 25.

3- تقع جنوبي واحد بسكرة الحالية، اسمه القبيلة من البربر ناحيه افريقية، لهم أرضا تعرب بهذا الاسم، ينظر: المصدر نفسه، ص 438. ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 20.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ميم واحد، ص 2072.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

العودة إلى المشرق وترك القيروان، وكان على رأسهم حنش الصنعاني[1] قائد حامية جزيرة شريك وينقل لنا ابن عذارى والحوار الذي دار بين زهير بن قيس وحنش الصنعاني، حيث قام زهير بن قيس خطيبا في الناس يدعوهم إلى القتال دفاعا عن القيروان فقام زهير بن قيس خطيبا في الناس فقال: «يا معشر المسلمين إن أصحابكم قد دخلوا الجنة وقد من الله عليهم بالشهادة فاسلكوا سبيلهم ويفتح الله لكم دون ذلك»[2].

فقال حنش الصنعاني لا والله ما نقبل قولك ولا لك علينا ولاية عمل أفضل من النجاة بهذه العصابة من المسلمين إلى مشارقهم ثم قال يا معشر المسلمين من أراد منكم القفول إلى مشرقه فليبتغي، فاتبعه الناس ولم يبق مع زهير إلا الأهل يتبعه[3]، واجتمع إلى كسيلة أهل المغرب من الروم والبربر وفضل زهير بن قيس الانسحاب إلى برقة، بينما واصل كسيلة زحفه إلى القيروان فاستولى عليها ولم يبق فيها إلا أصحاب الأثقال والذراري والضعفاء من المسلمين فطلبوا الأمان من كسيله فأمنهم[4] 65هـ/684م، وولي الخلافة عبد مالك بن مروان بعد وفاة والده مروان بن الحكم، فلما اشتد سلطانه اجتمع أكابر المسلمين عليه فسألوه النظر في أحوال افريقية وتخليصها ومن بها من المسلمين من يد كسيلة وينقل لنا كل من ابن عذارى وابن أبي دينار الكيفية التي وقع بها اختيار زهير بن قيس البلوي استقر رأي الجميع على اختيار نظر لما يتمتع به من خبرة في

1- عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 31.

2- محمد عبس الحريري، الدوله الرستميه، المرجع السابق، ص 32.

3- عذاري المراكشي، البيان المغرب، المصدر السابق، ص 31.

4- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 32.

الميدان الافريقي وشؤونه فامتده عبد الملك بجيش عظيم وأموال كثيرة وحشدت إليه وجوه العرب وأمره بالتوجه إلى افريقية[1].

4- ولاية زهير بن قيس البلوي69هـ / 688م:

تقدم زهير بن قيس إلى افريقية بقواته في سنة تسع وستين من الهجرة، وقيل سبع وستين من الهجرة[2]، ولما بلغ كسيلة خبر تقدمه خشي البقاء بالقيروان لأن بها خلق كثيرا من المسلمين كما أنها محاطة بطرائق البربر الموالين للعرب، لذلك فضل أن تكون أرض المعركة في ممسه ويذكرها ابن الأثير "ممشه" وابن خلدون "ميسه" التي تقع بحصنها على هضبة تتصل بجبال الأوراس، مما يسهل عليه الحصول على العتاد والمؤن والماء[3].

ولأن طبيعة المنطقة جبلية تمكنه من الهرب إلى موطنه إذا هزم أمام زهير[4]، ولما وصل زهير إلى القيروان لم يدخلها وأقام بظاهرها ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع تقدم للقاء كسيلة ودارت بينهما معركة عنيفة أحكم زهير حصار كسيلة والروم ومطاردتهم حتى وادي ملوية بالمغرب[5].

ويذكر بن أبي دينار والمالكي أن زهيرا اتجه بعد قضائه على كسيلة إلى الشمال ففتح شعب نارية[1] والباجة وبعض القلاع الأخرى، لقد كان لجهود زهير بن قيس نتائج ايجابية على عملية

1- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 33.
2- يوسف علي بدوي، المرجع السابق، ص 26.
3- عبد الرحمن بن خلدون، ا المصدر السابق، ص 1572.
4- محمد عبسي الحريري، المرجع السابق، ص 24.
5- ابن عذار المراكشي، المصدر السابق، ص 32.

الفتح إذ نجح العرب في استرداد المغرب الأوسط وضمه إلى حوزتهم وكسروا شوكة أوربة البرانيس حليفة الروم، حيث تركت أوريا المغرب الأوسط لتستقر حول مدينة وليلى بالمغرب الأقصى[2]، وتذكرون لنا المصادر أن زهير كان من كبار الزهاد بين رؤساء العابدين فلما رأى بافريقية ملكا عظيما كره الإقامة بها لرفاهيه عيشها وقال" انما جئت للجهاد وأخاف ان تميل بي نفسي إلى الدنيا فأهلك"[3]، فترك القيروان وسار نحو الشر ما وصل إلى برقة رأى ضرورة مطاردة غارات الروم والقضاء عليها، فنقض بمن معه على الروم وإذا هم في عدد عظيم إيقاعه وهو وبعض جنوده في كمين أعدوه له على الساحل وتكاثروا عليه فاستشهد وهو من كان معه من العرب[4]، أما الروم فقد سجلوا على أنفسهم عذرا لا يقل شراسة عما فعلوه مع عقبة في تهوذة[5].

وهكذا أصيب المسلمون بكارثة ثانية في الفتوح الافريقية وانسحب الباقون من رجال زهير إلى برقه وأرسلوا يطالبون المدد من دمشق للعودة إلى افريقية[6].

5- ولاية حسان بن النعمان الغساني 76هـ/ 696م

كان حسن من كبار رجال عبد الملك بن مروان وكان رجلا شريفا ينسب إلى آل غسان[1]، رغم تقدم سنه إلا أن شخصيته وسيرته وأمانته ومكنته من القيام بمهمة استكمال عملية الفتح والتي

1- شعب نارية: أماكن بافريقية سمي الكاف والأربص، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 25.

2- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 33.

3- ابن أبي دينار، المرجع نفسه الصفحة نفسها.

4- المالكي، رياض النفوس، في طبقات العلماء القيروان افريقية نساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، اسلامي، بيروت، 1981، ج 1، ص 30.

5- ابن العذارى، المصدر السابق، ص 32.

6- عبسي الحريري، الدوله الرستمية، المرجع السابق، ص 34.

أوكلتها إليه الخلافة، لقد حمل حسان بن النعمان عبء المرحلة الجديدة في فتح بلاد المغرب وقد عمل عبد ملك بن مروان على تجهيزه بجيش عظيم، حسن بهذا الجيش فاخترق برقة وطرابلس ووصل إلى القيروان دون أية مقاومة وتمكن من يحرز نصرا كبيرا فهزمه في قرطاجة وصطفورة[2]، وبنزرت وفرت بقاياهم إلى صقلية والأندلس[3]، وبعد احرازه هذه الانتصارات سار حسان لخوض معركة مع قبيلة جراوة التي كانت تقودها امرأة تدعى الكاهنة وهي كما ذكر ابن خلدون يومئذ أعظم ملوك البربر[4]، وكانت بجبل الأوراس تخافها النصارى والبربر وقد مني حسان بالهزيمة عند نهر نيني[5]، فقتل من العرب خلق كثيرا وأسرت الكاهنة ثمانين رجلا من أصحاب حسن وطاردته حتى خرج من قابس منسحبا إلى برقة بمكان يعرف يقال له قصور حسان، ومكث هناك خمسة أعوام وأرسل للخليفة بطلب المدد، وفعلا أمده عبد الملك ابن مروان بالمال والرجال[6].

وقد اطمأنت الكاهنة إلى أن العرب قد ابتعدوا عن بلادها فعادت إلى موطنها وظنت أن العرب لا يطالبون من هذه البلاد إلا المغانم، واتبعت سياسة تدل على عدم فهمها لمجريات الأحداث والآثار الطيبة التي تركتها موجات الفتح الإسلامي المتعافية في نفوس الأهالي[7]، ذلك أنها ةرعت في تخريب المدن وقطع الأشجار وتبديد العمران ظنا منها أن ذلك يقطع أطماع العرب

1- هو حسن بن نعمان بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمر بن مزريقيه بن عمار بن لازد، ينظر: ابن العذاري، المصدر السابق، ص 34.

2- صطفوره بلد من نواحي افريقية، ينظر: ياغوت الحمودي، المصدر السابق، ص 356.

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 1572.

4- ابن خلدون، نفسه الصفحة نفسها.

5- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 34.

6- يوسف علي بداوي، المرجع السابق، ص 29.

7- يوسف علي بديوي، المرجع السابق، ص ص 29- 30.

في هذه البلاد[1]، ولكن الذي حدث غير ذلك حيث ثار البربر ورفضوا الانصياع لها والبقاء تحت سيطرتها وخرج الكثير من النصارى والأفارقة مستغيثين مما نزل بهم من الكاهنة.

وقد استفاد حسان بن نعمان عندما استأنف الزحف على افريقية بلاد المغرب سنه 81 هـ-701م[2]، فاستطاع بمساعدة البربر الذين ضاقوا ذرعا بأعمال الكاهنة أن يهزم الكاهنة ويحرز نصرا نهائيا ويقتلها سنه 81هـ-701م، وطلب أصحابها الأمان فلم يقبل حسان أمانهم حتى أعطوه اثنى عشر فارسا من جميع قبائلهم دخلوا بعد ذلك في الإسلام فقسمهم حسان إلى فرقتين جعل على كل فرقة منهما ولدا من ولدي الكاهنة دخلا في الإسلام واستأمنا لحسان على يد يزيد بن خالد القيسي الذي كان أسيرا عند الكاهنة[3]، وكانت هذه البادرة ايجابية في مجال الاتصال الاجتماعي بين العرب والبربر لتحقيق الهدف الأسمى من الفتح وهو نشر الاسلام، وهكذا لم يبق أمام حسان سوى قرطاجنة التي استعادها أسطول الروم بقيادة البطريق يوحنا مرة ثانية عندما انهزم حسان أمام الكاهنة سيطر الروم من جديد على المناطق الساحلية، فزحف إليها حسان مستعينا بأسطول إسلامي كان الأول من نوعه يظهر في الساحل الافريقي[4].

استقامت بلاد المغرب لحسان بن نعمان تعلق على تنظيمه وسعى إلى تحقيق الاندماج بين العرب والبربر لخلق الاستقرار والأمن وضم البربر إلى الجيش العربي وأخرجهم، كما ذكر

1- محمد عيسى حريري، المرجع السابق، ص 37.

2- ذكر ابن عذاري وابن أبي دينار: أن الكاهنه ملكه المغرب كله بعد حسن خمس سنين فقال البربر أن العرب يطالبون من افريقية المدائن والذهب والفضه. نحن انما نريد منها المزارع والمراعي فلا نرى لكم خراب بلاد افريقية كلها هيئس منها العرب فلا يكون لهم رجوع اليها إلى آخر الدهر، ينظر: ابن العذاري، المصدر السابق، ص 36. ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 34.

3- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 37.

4- ابراهيم الغدوي، الأمويون البيزنطيون، المكتبه الأنجلو المصريه، ط2، مصر، 1963، ص 256.

المالكي"مع العرب يفتحون افريقية ويقتلون الروم ومن كفر من البربر"[1] ودون الدوايين وصالح على الخراج وكتبه على عجم افريقية وعلى من أقام معهم على النصرانية من البربر[2]، ورغم ضخامة التنظيمات والأعمال الإدارية والسياسية التي قام بها حسان إلا أن والي مصر عبد العزيز بن مروان والذي كان يتطلع إلى فتح شامل للمغرب[3].

ورأى أن حسان لم يتحقق هذا الهدف فبادر إلى عزله وتولية قائد جديد هو موسى بن نصير[4].

6- ولاية موسى بن نصير 86هـ /لـ 92 هـ 705 م / 716 م:

قدم موسى بن نصير إلى المغرب في أواخر 85 هـ-704م[5] في عهد الوليد بن عبد الملك بدأ موسى بن نصير أولا بتطهير افريقية واقليم الزاب من الروم وعملائهم من البربر وأكد ذلك موسى بن نصير بقوله: فإن من كان من كان قبلي بعمد إلى العدو والأقصى ويترك عدوا منه أدنى ينتهز منه الفرصة ويدل منه على العور ويكون عونا عليه عند الذكية"[6].

1- المالكي، المصدر السابق، ص 36.

2- ابن العذارى، المصدر السابق، ص 38.

3- المرجع نفسه، ص 38-39.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 1573.

5- ابن خلدون، المصدر نفسه، يخالف كل من بني أبي دينار الذي يقول أنه قدم سنه 80 ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 35.

6- ابن قتيبة، امام السياسيه، ج1، ط3، مكتبيه مصطفى البابي، الحلبي، القاهرة، 1963، ص 63.

فأرسل حملة بقياده عبد الملك الخشيني إلى قلعة زغوان وفي نفس الوقت بعث ابنه عبد الرحمن إلى بعض نواحي القيروان ووجه ابنه الثاني مروان إلى منطقة أخرى من افريقية وبلغ الخمس من السبى يومئذ ستين الفا[1].

ولقد فتح سجومة موسى ابن النصير وقتل ملوكها[2] بجهود كبيرة لإخضاع قبائل المغرب الأقصى للإسلام وفتح طنجة بنفسه فكان أول من نزلها واختط فيها المسلمين، وترك طارق بن زياد واليا عليها ومعه اثنا عشر ألفا من البربر وبعد ما تأكد موسى بن نصير أن سلامة الفتوح الإسلامية في بلاد المغرب تتطلب تعزيزا بحريا، بدأ يخطط لفتح الأندلس[3] وقد أثمرت جهوده مع مولاه طارق بن زياد بفتحها عام 92هـ/711م وعمد موسى بن نصير إلى إنجاز أكبر وهو استعمال الفتح والوصول إلى القسطنطينية لكن الوليد بن عبد الملك أرسل إليه رسولا يدعوه إلى العودة إلى دمشق سنة[4] 95هـ/713م وفي 97هـ/716م، ولي سليمان بن عبد الملك عبد الله بن موسى بن نصير على افريقية ثم استعمل عليها محمد بن يزيد القرشي، وفي نهاية ولاية موسى بن نصير تنتهي فترة الفتح في تاريخ المغرب الإسلامي[5]، وهي فترة طويلة تصل الى فوق السبعين سنة امتدت من سنة 21هـ/642م الى غاية 92هـ/716م، ولهذا يمكن أن يعتبر فتح المغرب عصرا قائما بذاته من عصور تاريخ المغرب في حين أن فتح مصر استغرق سنتين فقط وفتح الشام استغرق حوالي أربع سنوت وفتح العراق وإيران لم يستغرق أكثر من تسع سنوات ولقد تم فتح بلاد

1- المرجع نفسه.

2- ابن العذاري، المصدر السابق، ص 40.

3- البلاذري، فتوح البلدان، دار مكتبيه الهلال، بيروت، 1988.

4- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنصب عام، لجنه البيان العربي، 1961، ص 276.

5- عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 43. يقول بن خلدون:''روالي سليمان سنه سنه تسعين فسخط موسى وحبسه ابن خلدون، خلدون، المصدر السابق، م1، ص 1573.

المغرب وانتشار الإسلام في المدن التي تم بناؤها منها مدينة القيروان وعليه يجب نتحدث عن الأسباب التي دعت عقبة لتأسيسها[1].

ثانيا: الأسباب لتأسيس مدينة القيروان في بلاد المغرب

إن الأمر الذي أخرج العرب من الجزيرة لكي يصلوا الى افريقية إنما هو الإسلام وإذا كان العرب يطلبون الإقامة في افريقية فإنها من أجل ذلك وإذا كانوا يبنون مدينة قائمة من أجل ذلك الدين أيضا لتحقيق هذا الهدف[2].

فالهدف الأصلي هو تبليغ دعوة الله عز وجل ثم الوسيلة إلى ذلك هي الدفاع عن هذه الدعوة، فتأسيس مدينة القيروان كان لها هدف ديني وهدف عسكري حربي وهذا ما يشير إليه الدباغ متفقا مع المالكي وابن عذارى حين يورد المحادثة بين عقبة وأصحابه «إن افريقية إذا دخلها أمير تحزم بالإسلام فإذا خرج منها رجعوا إلى الكفر وإني أرى أن أتخذ بها مدينة نجعلها معسكر والقيروان تكون عز الإسلام إلى آخر الدهر»[3].

وهكذا يبدو السبب واضحا في عز الإسلام ونشر تعاليمه وإفساح المجال أمام شعاعه حتى يهدي القلوب ويزيل الضلالة، ولكن السيوف مصلتة من حوله فليكن في المدينة المنشودة الحماية والمنعة والتحرز من أن يكون بيت أهلها غير المسلمين الذين قد يكونون عيونا للعدو، ولقد توجه أمل عقبة إلى أبعد من ذلك بأن تكون القيروان مركزا علميا مملوءا بالعلماء والفقهاء والمطيعين لله

1- المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدوله العربيه عصر الحلفاء الأمويين، مكتبه الجامعه العربية، بيروت، ج1 ص 207.

2- ابن عذاري، البيان، المغرب، المصدر السابق، ص 29.

3- المالكي، رياض النفوس، المصدر السابق.

والدارسين الذين سيتولون ذلك ويقومون به، عندما تغمد السيوف وتتلاشى المقاومة أمام المد الإسلامي ويعبر عن ذلك أبو العرب في طبقاته تعبير حيث يذكر أن عقبة بن نافع كان معه في عسكره خمسة وعشرون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأن عقبة جمع وجوه أصحابه وأهل العسكر فدار بهم حوله[1].

حول مدينة القيروان وأقبل يدعو لها ويقول في دعائه «اللهم املأها علما ووفقها وأعز بها الاسلام وأمنعها من جبابرة الأرض». ولقد كانت القيروان عز الإسلام وأهله، حيث كانت مركزا حربيا ومدينة للمجاهدين وأسرهم وجامعة لتعليم اللغة ومبادئ الدين ومنها انتشر سلطان الإسلام فعم المغرب بأجزائه المغرب الأدنى والأوسط والمغرب الأقصى ثم عبر إلى الأندلس وإلى جزر البحر المتوسط ليصل إلى أوروبا وامتد جنوبا ليصل إلى أعماق وغرب القارة الافريقية[2].

ثالثا: اختيار مكانها وأسباب

من خلال أهداف قيام القيروان يتبين الهدف من اختيار مكانها المتمثل في نشر الإسلام بين أهل البلاد الأصليين وهم البربر المستعمرون من الروم فهم السد الذي يقف أمام انتشار نور الإسلام ولذلك لابد من أخذ الحذر منهم إلى أن يتمكن نور الإسلام[3]، من القلوب ويعم شعاعة الآفاق فيتمكن من جذبهم إلى نوره أو من طردهم إلى المكان الذي قدموا منه ماداموا يقفون سدا

1- محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضاره الاسلاميه، دار المنار للطبع والنشر، القاهره، 1408- 1988، ط1، ص 62.

2- محمد زيتون، المرجع السابق، ص 63.

3- الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب من أواسط القرن الأول الهجري إلى أواخر القرن الثاني الهجري، تح وتقديم: الأعجمي الكعبي التوفيق، تونس، 1968.

حائلا دون الإسلام وانتشار نوره، ولذلك كان قرب مكان القيروان من الداخل والهدف منها وهو توضيح حقائق الإسلام والتقرب من أهل البلاد حتى يشرح الله صدرهم للإسلام[1].

وهكذا يعبر النويري عن أثر قرب مدينة القيروان من البربر في الداخل مما أدى إلى انقياد كثير من البربر للإسلام، وذلك عندما يعبر عما أجمع عليه المؤرخون من منادرات عقبة احتطاط القيروان «أيها الحيات والسباع نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحلوا عنا إنا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه، فنظر الناصر في ذلك اليوم إلى السباع تحمل أشياءها والذئاب تحمل أجراءها والحيات تحمل أولادها، فأسلم كثير من البربر»[2]، ومن ذلك يبدو الأثر واضحا لتأثير اختيار مكانها في تحقيق أهم أهدافها وهي أن تكون موطننا لنشر كلمة الاسلام.

1- تلخيص أسباب اختيار المكان:

ويمكن تخلص أسباب اختيار المكان كتالي :

1- البعد عن الساحل حتى لا تتعرض لأساطيل البيزنطيين.

2- القرب من البادية لتباشر نشر الإسلام بين البربر.

3- تأمين إمدادات الجيش وحماية وسائل الموصلات وهي لابل[3].

هذا ما نستطيع أن نفهمه من تلك المناقشة التي يرويها المؤرخون عما دار بين عقبة وأصحابه في اختيار مكان القيروان وموضعها بالنسبة للروم والبربر وما قام به من ارتياد الأماكن

1- محمد زيتون، المرجع السابق، ص 64.

2- ياقوت حموي، المصدر السابق، ص 193.

3- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 75.

حتى توصل إلى اختيار المكان المحقق لأهدافها، وعبر المالكي عن ذلك وهو قريب مما ذكر ابن عذارى حين يقول: "فقال له بعض أصحابه قربها من البحر ليكون أهلها مرابطين"[1]، فقال لهم إني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية فيهلكها ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يدركه غزاة البحر لأن صاحب المركب لا يظهر من اللجة حتى يستره الليل فهو يسير إلى ساحل البحر إلى نصف الليل فيخرج فيقيم في غارته إلى نصف النهار فلا تدركها منه غارة أبدا فإن كان بينها وبين البحر ما لا يجب فيه التقصير فأهلها مرابطون[2]، ومن كان على البحر فهم حرس لهم وهو عسكر معقود إلى آخر الدهر وميتهم في الجنة فاتفق رأيهم على ذلك فقال: قربوها من السبخة فقالوا: نخاف أن تهلكنا الذئاب ويهلكنا بردها في الشتاء وحرها في الصيف فقال: لا بد لي من ذلك لأن أكثر دوابكن الإبل وهي التي تحمل عسكرنا والبربر قد انتصروا وأجابوا النصارى إلى دينهم[3].

كان موقع القيروان بعيدا عن البحر مسافة تمكن من التفطن للعدو والاستعداد له، والمقصود بذلك البيزنطيون الذين بإمكانهم الخروج من صقلية أو المجيء من عاصمة الامبراطورية، كما أنه يمكن العرب من الارتداء بسرعة إلى مواقعهم بالصحراء إذا داهمهم العدو وهي على مقربة من أودية كثيرة الأشجار ومن سياخ تمكن دوابهم وإبلهم من الرعي[4].

أما بالنسبة للأسباب الاقتصادية تقع القيروان في اقليم قمونية وهي منطقة غنية بينابيعها المائية القديمة وبانتشار السهول والأراضي الزراعية التي كانت مجالا لملكيات رومانية[5]، وقد

1- المالكي، المصدر السابق، ص ص 6-7

2- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 193

3- محمد محمد زيتون، المرجع السابق. ص 77

4- المرجع نفسه، ص 78.

5- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 194.

شهدت تراجعا في العهد البيزنطي أمر يؤكده وجود الشجر والأعشاب على أنقاض الموضع الأثري الروماني الذي أشار إليها المالكي بـ "حصن لطيف للروم يسمى قمونية"[1] ولا تختلف القيروان في ذلك عن بقية المدن التي وقع تمصيرها حيث كانت هذه المدن على مقربة من أراضي خراجية هامة مثال البصرة والكوفة[2].

رابعا: بناء مدينة القيروان وتخطيط عقبة بن نافع

بعد أن استقر رأي عقبة ومن معه على بناء القيروان واختيار مكانها شرع في تمهيد مكانها للبناء وإزالة الأشجار الموجودة فيها كي يبدأ بتخطيطها وإقامة المباني التي يريد بنائها، ويعبر ابن الأثير عن الأشجار التي كانت مكانها قبل بنائها وما كان يسكن فيها من الحيوان والحيات بأنها «كانت دجلة مشتبكة بها من أنواع الحيوان من السباع والحيات وغير ذلك»[3].

وقد أقبل المسلمون يقطعون الأشجار ويمهدون الأرض من أجل تخطيط المدينة وبناءها، فإذا ما انتهوا من ذلك شرع عقبة يخطط المدينة ويحدد شوارعها ومصالحها أهم شيء في ذلك هو ما يحقق الهدى من قيامها وهو المسجد ثم دار الامارة وبعد ذلك المساكن والدور التي سيقيم فيها الجنود وأسرهم، وقد تم ذلك بالمواد الموجودة في المكان دون عناء كبير «فكانت بناءات القيروان في أول أمرها على غاية البساطة وقد استعمل لتشييدها قرامين الأجر لوجود الطين المناسب على عين المكان ويخلو ضواحي العاصمة من الحجارة»[4].

1- المالكي، المصدر السابق، ص ص 7-8

2- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 79

3- ابن الأثير، الكمال في التاريخ،ج3، دار صادر للطباعة والنشر، ص 465.

4- ابن العذاري، المصدر السابق، ص 19.

وهنالك حفريات جارية الآن بجوار المسجد كشفت عن دار الأمارة، ويذكر المؤرخون أنه عندما اختط المسجد لم يحدث فيه بناء وإنما كان يصلي فيه بدون بناء مما جعل الناس يختلفون في تحديد القبلة[1].

وربما دعاهم إلى إثارة مثل هذا الاختلاف شعور المسلمين بما سيكون لتحديد القبلة من أثر يهفون إلى تحقيقه، فيما يستجد بعد ذلك من المساجد التي يأملون قيامها عندها تنتشر كلمة الله ولأنه أمر يتصل بالهدى الذي أقيمت المدينة من أجله وهو انتشار كلمة الله لذلك أخذو يتحرون مطالع النجوم والشمس شتاء وصيفا ولكنهم اختلفوا في الاستقرار على رأي واحد، مما جعل قائدهم يقدم لذلك ثم يروون حصول رؤيا لعقبة تحدد لهم قبلة المسجد بما يقطع أمر هذا الاختلاف وبما يعطى لتحديد هذه القبلة منزلة روحية سامية[2]، ويتفق على ذلك المالكي ويعبر عن ذلك بن عذارى بأن عقبة دران إلى موضع المسجد الأعظم فاختطه، ولم يحدث فيه بناء وكان يصلي فيه هو كذلك واختلف الناس على قبلة هذا المسجد وقالوا: أن جميع أهل المغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد فأجهد نفسك في تقويمها فأقاموا أياما ينظرون إلى مطالع الشتاء والصيف من النجوم ومشارق الشمس[3]، فلما رأى أمرهم قد اختلف بات مفهوما، فدعا الله عز وجل أن يفرج عنه فأتاه أت في منامه فقال له: « إن أصبحت فخذ اللواء في يدك واجعله على عنقك فإنك تسمع بين يديك تكبيرا لا يسمعه أحد من المسلمين غيرك فانظر الموضع الذي ينقطع عنك وهذا المسجد وهذه المدينة، وسوف يغفر الله لك أمر هذا العسكر وهذا المسجد وهذه المدينة وسوف يعز الله بها دينه

1- الدباغ، المصدر السابق، ص47.

2- ابن العذاري، المصدر السابق، ص 20.

3- المالكي، المصدر السابق، ص ص 7-8.

ويذلل بها من كفر به فاستيقظ من منامه وهو جزع فتوضأ للصلاة وأخذ يصلي وهو في المسجد ومعه أشراف الناس لما انفجر الصبح صلى ركعتي الصبح بالمسلمين اذا بالتكبير بين يديه»[1].

فقال لمن حوله: "اتسمعون ما أسمع" فقالوا: لا، فعلم أن الأمر من عند الله فأخذ اللواء فوضعه على عنقه وأقبل ينبع التكبير حتى وصل إلى موضع المحراب فتقطع التكبير فركز اللواء، وقال هذا محرابكم فاقتدى به سائر مساجد المدينة ثم أخذ الناس في بناء الدور والمساكن والمساجد والعمران وسبد الناس إليها من كل أفق وعظم قدرها[2].

وسواء صحت هذه الرؤيا أو لم تصح، وإن هذه الرواية من اختلاف الرواة خاصة بعد استشهاد عقبة فإن قبلة المسجد قد حددت وانتهى الخلاف، وبني المحراب ولم يجرؤ أحد بعد ذلك على تغييره مع تعدد الولاة وصل بعض من قام بعمارة في المسجد بعد ذلك إلى تغييره حتى لا يكون في المسجد أثر لسوأه، ومازال المحراب قائما إلى الآن من بناه عقبة بن نافع لم يهدم منه شيء إن كان أضيق البناء ما سمحت به فنون العمارة بعد ذلك ويضيف إلى ذلك ابن الأثير مقدار مساحة دور القيروان وتاريخ اتمام بنائها بأن دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع بالذراع وتم أمرها ستة وخمس وخمسين وسكنها الناس[3]. ومساحتها بالذراع ب« دورها ثلاثة عشر ألف ذراع وستمائة

1- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص ص 78-79.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 234.

3- ابن العذاري، المصدر السابق، ص 21.

ذراع»[1]، وربما تكون القيروان عند نشأتها أقل من أن تشغل كل هذه المساحة مما جعل بعض المؤرخين المحدثين يصفون ذلك بالمبالغة[2].

إن التطرق إلى خصائص التمصير بالقيروان وعناصرها التخطيطية يدفعنا إلى إبداء الملاحظات التالية:

– خضعت هذه المرحلة إلى تخطيط مسبق وفق نموذج تمصيري عرفته الكوفة والبصرة والفسطاط وشاركت فيه القبائل العربية النازلة بالموضع، وقد كانت حالتها مستقرة بالفسفاط من قبل وأهمها قريش، وكنانة، ومزينة، وسليم، وقيس، ولحيان، وعبس، وتميم من العدنانية والأنصار، أسلم، ولخم ومهرة، تجيب، ومعافر، ورعين، ويحصب، وخولان، وحضرموت، وآزد، وهمدان، وكندة، وتتوخ، وجهينة، وأسد، وكلب، وعنسان، وصدغ، وكلاع، وبلي، وطي، يذكر اليعقوبي أن: "بها أخلاط من الناس من قريش ومن سائر بطون العرب من مضئ ربيعة وقحطان"[3]. مما يفسر أن التخطيط وتقنيات البناء وموادها خضعت إلى حد كبير من هذه التأثيرات الخارجية سيما أن عقبة بن نافع كان ضمن الجند الذي مصر الفسطاط.

– عرف تخطيط القيروان هذه الثنائية: الحرم– الخطط وفق الكيفية التالية، فقد بدأ الاختطاط بالحرم الأوسط، فاختط عقبة أولا دار الامارة ويقدم لنا المالكي توضيحا هاما حول مكان دار الامارة اذ يقول: "وبنى دار الامارة التي قبلى الجامع"[4]، وهذا يؤكد التواصل في تخطيط المدن

1– نفس المصدر السابق.

2– محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 80.

3– ليعقوبي، تاريخ تقديم: محمد صادق، بحر العلوم، الحيدرية، ط4، النجف، 1974، ص 48.

4– المالكي، المصدر السابق، ص97.

الجديدة وهذا المركز كان مربعا، ثم أتى إلى موضع المسجد الأعظم فاختطه لم يحدث فيه بناء وكان يصلى فيه هو كذلك، ومن المعلوم أن دار الامارة تقع قبلي الجامع[1]، ولاشك أن تحديد جدار القبلة له مغزاه، في رسم بقية المجالات المتوازية، المتعامدة معه.

وهكذا فإن المرحلة الثانية من التمصير تمثلت في التقسيم إلى خطط، قول المالكي: "أمرهم (عقبة الناس) أن يقتطعوا ويختطوا"، وهو ما فصله ابن عبد الحكم: " وأمر الناس بالتنقية والخطط، ونقل الناس من الموضع التي كان فيه معاوية بن حديج نزله الى مكان القيروان اليوم وركن ومعه وقال: هذا قيروانكم"[2]، و يعد بناء مدينة القيروان خلال سنة 50هـ، وهو حدث هام في التاريخ إسلامي لبلاد المغرب حيث أصبحت مدينة القيروان مركز الحضارة الإسلامية ونقطة مهمة في بلاد المغرب وهي من أهم مدن الإسلامية.

أصبحت القيروان مركزا للإسلام والمسلمين في بلاد المغرب، ويذكر الدباغ أنها قد نالت البركة بدعاء الصحابة لها، فقد روي أن عقبة كان يقول حيث التف الناس حوله: " اللهم املأها علما وفقها، وعمرها بالمطيعين لك و العابدين، واجعلها عزا لدينك ووذلا لمن كفر بك وأعز بها الإسلام وأمنعها من جبابرة الأرض..."[3].

1- المصدر نفسه.

2- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 196.

3- الدباغ، المصدر السابق، ص ص 7-8.

كان عقبة بن نافع في المسجد وبدأ ينشر تعاليم الاسلام هناك وأقبل الناس في بناء المساجد حتى بلغت زهاء ثلاثمائة مسجد[1]، وأصبحت مركزا يقصده الزهاد[2]، وبذلك يعتبر تأسيس المدينة انتصار كبيرا للمسلمين في بلاد المغرب خاصة بعد بناء المسجد الكبير[3].

حيث كان المسلمون يدرسون هنالك تفسير الآيات القرآنية والحديث النبوي الشريف ويتذاكرون صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهكذا بقيت القيروان في عز ومجد في عهد عقبة بن نافع[4]، وأضحت قاعدة عسكرية حربية منها تقوم الفتوحات الإسلامية ومركز لطلب العلم يتجه إليه كل سكان المغرب، وهذا كله بفضل موقعها الجغرافي الهام مما زاد في مواردها بفصل الموانئ القريبة منها المطلة على البحر المتوسط وشهدت ازدهار القرون طويلة.

1- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 83.

2- المراكشي عبد الواحد، المغرب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد زينهم، محمد عزب، إدارة الفرحاتي، القاهرة، ص 287.

3- هو جامع قام عقبة بن نافع ببنائه وخط محرابه وكان يصلي فيه مع المسليمن وفن هدم سنة 83هـ، وأعاد كل حاكم يولي على افريقية بناءه من جديد محافظ على محراب عقبة، ينظر: زينب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج2، تقديم: أحمد ابن سودة، دار الأمير، بيروت، 1995، ص 34.

4- الصلابي علي محمد، الفتح الإسلامي في الشمال الافريقي، مؤسس أقرأ، القاهرة، 2007، ص25.

الفصل الثـــــاني
الدور العسكري والسياسي والاقتصادي لمدينة القيروان في بلاد المغرب وأثره الحضاري

أولا: الدور العسكـــري لمدينة اقيروان

ثانيا: الدور السياسي لمدينة القيروان

ثالثا: القيروان ودورها الاقتصادي

أولا: الدور العسكري لمدينة القيروان

أصبحت القيروان من عودة عقبة بن نافع الفهري إليها قاعدة بانتشار الإسلام المنظم ببلاد المغرب وغيرها فبعد اتخاذها قاعدة عسكرية أصبحت عمليه الانتشار ذات طابع ثابت مستقر بعد أن كانت مجرد غارات محدودة[1]، وتمكن عقبه خلال إحدى حملاته الكبرى من الوصول الى شاطئ المحيط الأطلسي مخترقا إفريقية، كما تمكن في تلك الحملة من هزيمة البيزنطيين والأهم من البربر[2]، وأصبح البربر الذين أسلموا وحسن إسلامهم رافدا مهما للجيش الاسلامي، حيث انخرطوا في صفوفه، وزادت بهم قوة الاسلام والمسلمين[3].

لقد تم فتح إفريقية ونشر الإسلام فيها بشكل منظم ودقيق انطلاقا من القيروان ممن ساهم في ذلك بعد عقبة زهير بن قيس البلوي الذي وجهه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان إليها سنة 69هـ / 688م[4]، فقد حقق انتصارات كبيرة على البيزنطيين ومن والأهم من البربر في شمال افريقية[5]، وهو الأمر الذي زاد من رفعة انتشار الإسلامي، واستقطب أعدادا جديدة من البربر للإسلام وازداد الإسلام انتشارا على يد حسين بن النعمان الذي تمكن سنه 82هـ/ 701 م من تحرير شمالي افريقية من البيزنطيين، وبعد هذا الانتصار كان حسن بن النعمان اهتماماته على البربر في الداخل وكانوا قد تجمعوا تحت قيادة امرأة منهم عرفت بالكاهنة في جبل الأوراس، فسار حسان إلى الكاهنة فقضى عليها في موضع سمي بئر الكاهنة وانهزم البربر[6].

1- ابن العذاري، المصدر السابق، ص ص 24 - 25.
2- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 58.
3- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 259.
4- ابن العذاري، المصدر السابق، ص 39.
5- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 60.
6- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 301.

فاستقامت إفريقية لحسن بن النعمان بعد انتصاره على الكاهنة وحسن إسلام البربر وطاعتهم، لذلك انتشر الإسلام في معظم أنحاء افريقية، ولم يبق سوى جيوب صغيره تمكن موسى بن النصير الذي ولا افريقية 89 هـ/ 707 م من فتحها، ونشر الإسلام فيها[1]، وقد كانت أولى فتوح ابن النصير قلعة زغوان ونواحيها، وبينها وبين القيروان مسيره يوم[2]، ثم توجه إلى المغرب الأقصى ففتح طنجة، وانتهت خيله إلى السوس الأدنى عاد بقواته إلى طنجة فطهرها، وأمر العرب بتعليم البربر القرءان وتفقيههم في الدين ثم عاد الى القيروان[3].

ويشير المؤرخون ان موسى بن نصير عندما عاد إلى القيروان كانت إفريقية كلها قد دانت له ولم يبق فيها من ينازعه، وظلت القيروان منذ إنشائها مركز إشعاع حضاري، فقد تمكن العرب المسلمون انطلاقا منها من تطوير المجتمع في بلاد المغرب[4]، وتغيير عاداته وتقاليده، بعد أن اندمج العرب والبربر معا في بوتقه الإسلام، جهز موسى بن نصير حمله بحريه بقيادة عياش بن أخيل هاجمت صقلية، ودخلت مدينة سرقومة" فغنمها وجميع ما بها، وقفل سالما غانما وفي سنة 93 هـ/712م دخل موسى بن النصير الأندلس بعد أن استخلف على القيروان ابنه عبد الله بن موسى وكان أسن ولده[5].

1- الرقيق القيرواني، افريقية والمغرب وأوسط القرن الأول الهجري أواخر القرن الثاني الهجري، تح وتقديم: المنجي الكعبي، السقطي، تونس، 1968، ص 222.

2- ابن العذارى، المصدر السابق، ص ص 92 – 93.

3- المالكي، المصدر السابق، ص 46.

4- الدباغ، المصدر السابق، ص 98.

5- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص ص 21 – 22.

في عهد الدوله الأغالبة 164 / 800 م مشاهده القيروان عصرها الذهبي اذ أصبحت عاصمة دول الأغالبة، فازدهرت أسواقها وكثرت مبانيها، وأصبحت منطلقا لفتح صقلية وسردينية ومالطة, واستمرت حتى مجيء الفاطميون سنه 296 هـ/ 908م[1]، وهم الذين أسسوا مدينة المهدية على شاطئ البحر وجعلوها عاصمة لهم بدلا من القيروان التي كانت تقاوم حكمهم[2].

لقد انتشرت اللغة العربية في بلاد المغرب نتيجة لهجرات القبائل العربية إليها، وساعد على انتشارها أنها لغة القرآن الكريم، الدين الاسلامي، قد سعى العرب إلى جعل هذه اللغة لغة أدب وثقافة أيضا[3]، فأصبح استعمالها من شعائر الإسلام وطاعة العرب، وصار اللسان العربي لسان البربر، ورسخ ذلك وقد ساهم في انتشار اللغة العربية تعريب الدواوين، حيث أقبل الموظفون من البربر على تعلمها وخاصة بعد أن أصبحت لغة الدواوين والسياسة فضلا عن كونها لغة الدين والأدب والثقافة[4].

وتوطدت العلاقات بين العرب والبربر وازداد عدد الفقهاء والعلماء الذين أرسلتهم الخلافة مما عزز نشر الإسلام وتمكينه في النفوس وأدى إلى ثلاث الديانات التي كانت سائده في بلاد المغرب وهي: المسيحيه على الساحل واليهود بين البربر، والوثنية والمسيحية بين البربر البرانس[5]، وتحمس البربر للدين الجديد، وانضموا إلى صفوف المجاهدين المسلمين.

1- بن الأثير، المصدر السابق، ص 54.
2- ابن العذارى، المصدر السابق، ص ص 91 - 108.
3- المالكي، المصدر السابق، ص ص 185- 188.
4- الدباغ، المصدر السابق، ص138.
5- البكري، المصدر السابق، ص 24.

وبذلك غير الفتح العربي الاسلامي الذي انطلق من القيروان الحياة المغربية تماما بحث بلاد المغرب جزءا مهما من الدولة الاسلامية الموحدة[1].

1- التحصينات الحربية:

عند التحدث عن الدور العسكري علينا أن نذكر التحصينات الحربية التي كانت من الحركة العمرانية كان في جانب العسكري، وعليه فلقد كان كان للأسوار والمحارس شأن مهم بالنسبه للدفاع عن المدن في الماضي ويشير البلاذري إلى ما قام به محمد بن الأشعث في القيروان إشارة موجزة بقوله: "مدينة القيروان ومسجدها"[2]، أما البكري فيتحدث عن ذلك بتفصيل يبين أنه أقام السور للمدينة وجعل فيه الأبواب وعليه والمحارس" للقيروان من القديم سبع محارس أربعة خارجها وثلاثة داخلها وكان للقيروان في القديم سور طوب سعته عشرة أذرع بناه محمد بن الأشعث بن العقبة الخزاعي سنة أربعة وأربعين ومائة، وهو أول قائد دخل إفريقية للمسودة وكان في قبلية باب سوى الأربعة وهو بين القبلة والمغرب وبين القبله والمشرق، باب أبي الربيع وفي شرقه باب عبد الله وباب نافع وفي جوفيه باب تونس، وفي غربية باب أصم المذكور وباب النخيل وباب الحديث وللفصيل بابان وباب الطوار وباب الفلالين وباب سحنون"[3].

أما داخل المدينة فكان ينقسم إلى أرياض أهلة وحارات وشوارع وأزقه وأسواق عامرة فمن أشهر أرياضها (رياض السدرة) ثم (رياض الدوحا) قرب أبي الربيع، و(رباض البقرية) وكأنه كان معدا للملاهي والخلاعة ثم (حارة القوشيشين) و(حارة القراصنة) قرب السور و(رباض المفلس) و(رياض الريدان) ومن الدروب (درب السكة) و(درب الهذلي) و(درب الفرسان) ويجاور سوق

1- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج2، تح: أحمد بكير، مكتبة الحياة، بيروت، ص 13.

2- البلاذري، فتوح البلدان، أروى، مكتبه بيروت، ص 188.

3- البكري، المصدر السابق، ص ص 24- 25.

اليهود وغيرها(كدرب ازدهر) قرب باب تونس(درب ابن سوادة) و(درب أم أيوب) قرب سوق الأحد[1]، ومن ذلك نرى أن المدينة كانت محصنه من الداخل والخارج بحيث يمكن الدفاع عنه في دروبها وأرباضها، "ولم يمر نصف قرن على تأسيس القيروان حتى أصبحت أم القرى المغربية تنبعث منها أشعه الإيمان والعرفان، وصارت العاصمة الإفريقية التي تنتهي إليها المسالك وتتفرق منها الطرقات مثلما كانت قرطاجة في عصر الرومان، ومع ذلك فإنها المركز الحربي الممتاز الذي يقوم بالدفاع عن حوزة البلاد وفيه يستعد للهجوم على المقاومين ومستودع السلع الواردة من الشرق من بضائعه صنائعه ومعرض دائم لمنتوجات البلاد وغيرها[2].

قد يكون تأثير القيروان هذه المدينة الإسلامية التي تأسست على يد عقبة بن نافع، فقد لعبت دورا عسكريا في تغيير مجرى تاريخ المغرب الإسلامي وفي تحويله من أراضي مسيحية لغاتها اللاتينية إلى أراضي لغتها عربية دينها دين الحق دين الاسلام، فكلمة القيروان تعني مكان السلاح ومحط الجيش واستراحة القافلة وموضع اجتماع الناس في الحرب، ومنها انطلقت الفتوحات إلى الغرب ومن ثم إلى الأندلس، استطاعت القيروان أن تفرز طوال أربعة قرون متتالية مدرسة متعددة عسكرية من خلالها تم نشر الإسلام واللغة العربية في بلاد المغرب نتيجة للهجرات القبائل العربية إليها لغة القرآن الكريم وتوطدت العلاقات بين البربر والعرب حيث أنه من البربر من ساهم في فتح الإسلامي انضموا إلى الجيش الإسلامي.

1- لبلاذري، المصدر السابق، ص 263.

2- محمد زيتون محمد، المرجع السابق، ص 83.

ثانيا: الدور السياسي لمدينة القيروان من بني أمية إلى العهد الفاطمي

1- عصر الولاة من بني أمية وبني العباس:

بعد أن تم فتح إفريقية على يد حسن بن النعمان وثبتت أقدام المسلمين فيها توافد الولاة على القيروان من قبل خلفاء بني أمية ثم من قبل خلفاء بني العباس لإدارة شؤون ولاية إفريقية التي كان مقرها القيروان[1]، وقد عانت السلطة الحاكمة في القيروان خلال عصر الولاة كثيرا من الثورات العاتية وتعرضت في بعضها للحصار بل تمكن الثوار في بعض الأحيان من طردها من مقرها والاستيلاء على القيروان نفسها وانتهاك حرماتها إلى أن قامت دوله الأغالبة سنة 184 هـ- 800م[2].

* **ولاية موسى بن نصير:** تولى أمر أفريقية بعد حسن بن النعمان موسى بن نصير سنة 88هـ- 706م، حيث قام بكثير من الفتوح، كان أولها فتح قلعة زغوان ونواحيها بينها وبين القيروان مسيره يوم، ثم تابع فتوحه غربا متوجها إلى المغرب الأقصى فتح طنجه وانتهت قبله إلى السوس الأدنى[3].

* **ولاية محمد بن زيد:** تولى الخلافة بعد الوليد أخوه سليمان بن عبد الملك فأسند أمر إفريقية والمغرب كله إلى محمد بن زيد، وقد وصل محمد بن زيد إلى مقر الولاية سنة 97هـ- 715م، ويتحدث المؤرخون بأنه كان حسن السيره عادلا، كما قام ببعث السرايا إلى شغور افريقية، وقد أسند

1- البلذاري، المصدر السابق، ص 110.

2- ابن عبد الحكم، المصدر السابق, ص 270.

3- ابن العذارى، المصدر السابق، ص 44.

أمر الأندلس إلى الحر بن عبد الرحمن الثقفي قام بمصادره أملاك أسرة موسى بن النصير في القيروان وقد استمرت ولايته سنين وأشهر[1].

* **ولاية اسماعيل بن عبد الله:** عندما توفى سليمان بن عبد الملك ولى الخلافة عمر بن عبد العزيز ولي على إفريقية اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم سنه 100 هـ – 717م، الذي بذل جهودا مخلصة لأجل إقرار العدل والسلام اهتم بنشر الإسلام والتعريف به بين البربر مما أدى إلى اعتناق كثير من البربر الإسلام[2].

* **ولاية يزيد بن أبي مسلم:** عندما آلت الخلافة إلى يزيد بن عبد الملك أسنده ولاية المغرب إلى يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف فقدم إليها سنه 102 هـ – 719م، وكان يتسم بالقسوة والظلم سواء بالنسبة للرعية حيث حاول أن يمنع الجزية على من أسلم، مما أدى إلى تآمرهم عليه وقتله بعد شهر من ولايته[3].

* **ولاية بشر بن صفوان الكلبي:** واختار أهل القيروان محمد بن أوس الأنصاري وليا عليهم وكان غزو صقلية فبعد عودته قام بالأمر وكتب إلى يزيد بن عبد الملك يخبره بما حدث من قتل يزيد بن أبي مسلم واختيار أهل القيروان له، فولى يزيد على فريضة بشربن صفوان الكلبي الذي قدم إلى القيروان سنه 103 هـ– 720م، فقام بن صفيه ال موسى بن نصير كلما ولى على الأندلس بوسه بن يحيم الكلبي سنه 107هـ– 725م[4]، كما أن بشر مهد أمور افريقية غزا صقلية بنفسه أصاب سيبا كثيرا عند عودته إلى القيروان أدركته الوفاة في سنه 109هـ – 727م، قد أدت سرعة هذا

1– المنعم ماجد، المرجع السابق، ص 208.

2– ابن الأثير، المصدر السابق، ص ص 31– 32.

3– المالكي، المصدر السابق، ص58.

4– حسن حسيني عبد الوهاب، في المصنفات والمؤلفين التونسيين، ج1، بيت الحكمه، تونس، 1990، ص 47.

التغير إلى عدم القيام بأعمال هامة سوى ما قام به اسم ابن أبي المهاجر من نصر للاسلام بين البرابر وكذلك نلمح روح الثوره في قتل إلى القيروان يزيد بن أبي مسلم لعدم قيامه بالعدل في الرقبة والقسوة أبداها خرسه الحاضر مما أدى إلى قتله[1].

* **ولاية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي:** سنة 110هـ- 728م قدم إلى القيروان عبيدة بن عبد الرحمن سلامي ليقوم بحكم افريقية خلفا لبشر بن صفوان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك فبعث عبيدة من قبله إلى الأندلس مدة حكمه أربعة أولاد كان آخرهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الذي غزا فرنسا، قد عمل عبيده عمال الوالي السابق بقسوه وعنف وفرض عليهم الغرامات فشكوه إلى الخليفة مما أدى إلى عزله عن افريقية[2].

* **ولاية عبد الله بن الحبحاب:** وأرسل الخليفة هشام بن عبد الملك بن عبد الله واليا على افريقية والمغرب سنه 116هـ- 734م، وكان كانيا بلغيا يقول الشعر وكان واليا على مصر قبل إسناد ولاية افريقية إليه فقدم القيروان ونظم شؤونها، فقام في تونس ببناء المسجد الجامع والزيادة في دار الصناعة[3]، كما أرسل الولاة إلى أطراف الولاية فبعث إلى الأندلس عقبة بن الحجاج، تولى على طنجة وكان عامله على طنجة والمغرب الأقصى عامل الرغبة معاملة سيئة وأراد البربر ورغم أنهم فئة للمسلمين، مما أدى إلى قيام ثوره عنيفة تزعمها مسيرة المدغوي الذي تمكن من قتل والي طنجة وتمكن من قتل اسماعيل بن عبد الله الذي كان يلي أمر السوس[4].

1- حسن حسيني عبد الوهاب، خلاصه تاريخ تونس، الدار التونسيه للنشر، 1968، ص57.

2- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 107.

3- البكري، المصدر السابق، ص ص 70- 72.

4- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 218.

وانتفض المغرب الأقصى من حكم القيروان، وبلغ اسماع هشام بن عبد الملك فقال" والله لأغضبن لهم غضبة عربية ولا بعثت لهم جيشا أوله عندهم وآخره عندي ثم لا تركت حسن بربري إلا جعلت الى جنبه خيمة أو تميم"[1].

* **ولاية كلثوم بن عياض القشيري:** أسس هشام بن عبد الملك القيام بأمر أفريقية والقضاء على الثورة فيها إلى كلثوم بن عياض القشيري وأرسل معه إثنى عشر ألف من أهل الشام وأمر حكام مصر وبرقة وطرابلس بإرسال الجنود معه، فوصل إلى أفريقية في رمضان سنه 123هـ- 740م، فاستخلف على القيروان عبد الرحمن بن عقبه الغفاري بين أفريقية وسار كلثوم بن عياض في جيشه الذي بلغ ثلاثين ألفا[2]، انضم إليه جند إفريقية بقيادة حبيب بن أبي عبيدة والتقوا مع ثوار البربر بقيادة خالد بن حميد وقتل كثير من قادتهم وفرسانهم فسحب بقيه الجيش إلى الأندلس والبعض الآخر إلى القيروان[3].

* **ولاية حنظلة بن صفوان الكلبي:** بعد استشهاد كلثوم بن عياض ولي هشام بن عبد الملك على إفريقية القيروان حنظله ابن صفوان الكلبي فوصل الى القيروان في شهر ربيع اليهم سنة أربع وعشرين ومائة، وطلب منه أهل الأندلس أن يرسل لهم واليا فأرسل أبا الخطار بن ضرار الكلبي ولم يمض على إقامه حنظلة بالقيروان وقت طويل حتى زحف إليه الخوارج الصفرية فالتقى بعكاشة ابن أيوب الفزاري بالقيروان وقت طويل من زحف إليه الخوارج الصفرية فالتقى بعكاشة بن أي أيوب الفزاري بالقرن قريبا من القيروان ودارت معركه حامية كان النصر فيها لحنظلة[4]، ولا شك أن حنظله قد حفظ بحسن قيادته القيروان من هذه الثورة العاتية تلك الأعداد الهائلة التي كانت تريد

1- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 218.

2- ابن العذارى، المصدر السابق، ص 54.

3- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 109.

4- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 115.

اجتياحها والقضاء على أي سلطة الأمويين فيها، ولكن سنة سبع وعشرين ومائة ثار بتونس عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع، ودعا الناس إلى نفسه فأجابوه فأقبل بمجموعة إلى القيروان طالبا من حنظلة مغادرتها فغادر القيروان سنة سبعة وعشرين ومائة هجري[1].

* **ولاية عبد الرحمن حبيب الفهري:** ودخل عبد الرحمن القيروان وتولى الأمر فيها وصار هو الحاكم لافريقية ويبدو أن الذي ساعد الفهري في حركته هو اضطراب أمر الخلافة في المشرق الذي كان فرصة مكنته من أن يظفر بشبه استقلال في الحكم وإن كان لم يعلن عن انفصاله عن الخلافة في المشرق وقد استمر عبد الرحمن بحكمه افريقية عشر سنوات استطاع خلالها أن يقضي على كل الثورات التي قامت ضده وهزم كل ثائر حاول الانتفاض عليه[2]، ولما قامت دولة بني العباس أرسل عبد الرحمن كتابا إلى أبي العباس السفاح، أول خلفاء بني العباس بلغت فيه طاعته فأقره السفاح ولما توفى بنى العباس السفاح وخلفه أبو جعفر المنصور. كتب إليه أيضا، وانتهز أخوه الياس ذلك فثار عليه وقتله وتولى أمر افريقية وبعث بطاعته إلى المنصور[3]، ولكن افريقية لم تسكن لإلياس إذ ثار عليه حبيب بن عبد الرحمن وتمكن من القضاء عليه، وقام بأمر افريقية سنة ثمان وثلاثين ومائة هجرية، لأن افريقية لم تسلم قيادتها له أقبل عاصم بن جميل[4]، لنفي عاصم مع خليفة حبيب على القيروان القاضي بكل بسالة وجرأة ودخلت ورفجومة القيروان ثم التقى حبيب مع عاصم مرة أخرى فتمكن من قتل عاصم وأصحابه إلا أن عبد الملك بن أبي الجعد تمكن بقبيلته

1- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 224.

2- المصدر نفسه، ص 225.

3- ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، تح: حسن مؤنس، ط1، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص 342.

4- الرقيق قيرواني، المصدر السابق، ص 129.

ورفجومة من قتل حبيب في شهر المحرم سنة مائة وأربعين هجرية، وبذلك خرجت القيروان قاعده افريقية عن التبعية للخلافة المركزية في المشرق وصارت في يد الأباضية[1].

***ولاية الأسرة المهلبية:** صارت ثاني أسرة عربية عريقة بافريقية عام 151هـ- 768م بعد تولي عمر بن حفص الملقب بهزار مرد الولاية، وكان بطلا شجاعا اجتمع إليه وجوه القيروان فواصلهم وأحسن إليهم وأقام الأمور مستقيمة ثلاث سنوات وأشهر[2]، بنى مدينة طبنة في الزاب بأمر من الخليفة المنصور، ثم حوصر بالقيروان من قبل الإباضية وقتله أبو حاتم الإباضي عام 154هـ- 772م، استقدم الخليفة المنصور يزيد بن حاتم المهلبي رعيته على المغرب وخرج يتبعه حتى أتى بيت المقدس فأمره بالنفوذ وانصرف أبو جعفر فقدم يزيد إلى القيروان سنه 155هـ- 769م، فقضى على الإباضية وأزال الفساد ونادى في الناس جميعا بالأمان اهتم بعمارة البلاد ورتب أسواق القيروان وجدد بناء المساجد وزاد قدرها[3]، وتعد فترة حكم يزيد من أحسن فترات عصر الولاة على أفريقية وأكثرها خيرا، سواء الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو المعمارية أو العلمية، توفي يزيد العام 170هـ- 786م وخلفه أخوه روح بنت حاتم. وانتهى حكم الأسرة المهلبية سنة 178هـ- 794م بمقتل الفصل بن روح ليبدأ حكم الأسرة الأغلبية.[4]

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 189.

2- حسين حسني عبد الوهاب، ورقات عند الحضارة العربية بافريقية التونسية، ج1، مكتبه المنار، تونس، 1972، ص 57.

3- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 46.

4- فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطميه بالمغرب، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1994، ص 52.

2- القيروان في العهد الأغلبي:

بداية من أول أمير وهو ابراهيم بن الأغلب سنة 184هـ- 800 م إلى آخر أمير وهو أبو معز زياد الله الثالث 296هـ- 909م، شهدت خلاله القيروان تطورات عديدة في شتى الميادين الحضارية من فكرية وثقافية واقتصادية واجتماعية وعمرانية[1].

فقد ازدهرت الحضارة بالقيروان طيلة عهد الأغالبة، وعرفت نهضة علمية وفكرية ثقافية بوجود سند علمي متواصل عند مشايخ القيروان، استمرت المدينة في عطائها الأدبي والفقه والعلمي وكان هذا العهد تزامنا مع عهد الرستميين أول حكم هو ابراهيم بن الأغلب 184- 196هـ، هو مؤسس الدولة الأغلبية عرف عنه أنه كان ملما بالأدب والعلوم الشرعيه، حافظ للقران وعالم به[2] من إنجازاته العمرانية بناء مدينة العباسية على ثلاثة أميال جنوب مدينة القيروان والعديد من الإنجازات الكثيرة في عهده، ثار علي بن ابراهيم بن الأغلب عمران بن مجاهد الربيعي سنه 195هـ- 810م، وحاصره أهل القيروان بعدما ملكها فهدم ابراهيم سور القيروان وقلع أبوه أبوابها وتوفي في شوال 196هـ- 811م[3].

* **أبو العباس عبد الله الأول 196 - 201هـ/ 812 - 817م:** افتقد إلى التدبير والحنكة السياسية وكان أبوه ابراهيم بن عقبة واليا على طرابلس قبل ثورة قبيلة هوارة على سفيان بن مضاءة، ثم عاد إليها في جيش قوامه ثلاثة عشر ألف جندي فأعمل فيهم السيف الأمر الذي أدى

1- احمد الطويلي، شهيرات القيروان ومعالم حضارية، ط1، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2013، ص ص 5- 6.
2- يحى بن عمر، أحكام السوق، شركة التونسي للتوزيع، 1975، ص 48.
3- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 1581.

بالأهالي طرابلس إلى الاستنجاد بالإمام الرستمي عبد الوهاب بن أفلح[1]، الذي حاصر المدينة ولم يدعم الوضع طويلا إذ بلغ عبد الله وفاة والده فلم يجد بدا من عقد صلح مع البربر يقضي ويجعل المدينة البحر للأغالبة بينما الصحراء للرستميين، وتوفي ذي الحجة سنة إحدى عشر ومائتين بعد خمس سنين من ولايته[2].

***زياد الله الأول بن ابراهيم بن الأغلب الأول 201 هـ -223هـ/ 816- 837م:** ويبقى عهده من أزهر فترات الدولة الأغلبية لما قام به من إنجازات عمرانية وعلمية، فبقدر ما أساء السيرة في الجند وسفك فيهم الدماء واشتد عليهم في كل وجه بقدر ما شجع العلماء وقربهم منه، اختياره لأسد بن الفرات قاضيا على القيروان سنة 203هـ / 818 م، إلا مظهرا من مظاهر هذا التشجيع، لم يسلم زيادة الله من الفتن والاضطرابات، فقد ثار عليه منصور الطنبدي[3] الذي استطاع أن يسيطر على القيروان واستطاعت مدينة العباسية بسورها المانع الصمود ضد حصار الذي فرضه الطنبدي والذي استمر من عام 208هـ- 823م إلى عام 211هـ- 826م، لم يتم الحصار إلا بعد أن قتل الطنبدي على يد مناصريه وكان الطنبدي قد دخل القيروان وعمر صوره الذي هدمه ابراهيم وغلق أبوابها[4]، فبعد أن توقفت الثورات ضده التفت زيادة الله إلى الاهتمام بشؤون البلاد وكان يقول"لا أبالي ان سألني الله ما قدمنا عليها يوم القيامة" فمن انجازاته هزيمة منصور الطنبدي ثم عودة ملك افريقية

1- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3-4، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992، ص 85.

2- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص ص 49- 85.

3- ابن العذاري، المصدر السابق، ص 96.

4- حسن حسيني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 63.

لزيادة الله الذي صور مدينة القيروان مما يكون له الأثر في استقطاب عدد من الفقهاء والعلماء الذين يشكلون اللبنة الأولى لمدارس الفقه والإنتاج الأدبي وعلمه وغيره[1].

* **أبو عقال الاغلب بن ابراهيم بن الأغلب 223- 226م/ 837- 841م:** بعد وفاة زيادة الله في رجب 223 هـ- 838 م خلفه أخوه أبو عقال كان ذو سيرة حسنة عند الرغبة والجند أزال ومنع المظالم وآجرى على العمال وأرزاقا واسعة[2]، حارب مظاهر الفساد حيث قطع النبيذ والخمر وعاقب على بيعه وشربه الذي كان متفشيا في القيروان، دام حكمه سنتين وسبعة أشهر، توفى في ربيع الآخر من سنة 226هـ - 841م[3].

***أبو العباس محمد الأول بن الأغلب بن ابراهيم 226- 242 م/ 841- 857م:** تولى الحكم بعد وفاة والده فدانت له افريقية وشيد مدينة بالقرب من القيروان سماها العباسية سنة 239هـ- 853م، ولكن أفلح بن عبد الوهاب قام بحرقها وتخريبها[4]، عرف المذهب المالكي في هذه الفترة بالازدهار، فقد غافر كبار فقهاء المالكية في افريقية من أمثال عبد الله بن أبي حسان البحصي المتوفي سنه 227هـ- 841م وإمام القيروان سحنون بن سعيد التنوفي الذي عينه قاضيا سنة 234هـ- 848م[5].

* **أبو ابراهيم بن أبي عباس 242 - 249هـ/ 856- 863م:** تميز في حكمه بالعدل والإحسان والرفق بالرعية وكان كثير العطاء وعزز صفوفه بعناصر جديدة من العبيد، ويذكر أن ابن خلدون أنه كان مولعا بالعمارة فبنى بافريقية نحو عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد، وفي

1- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 41.
2- الدباغ، المصدر السابق، ص 41.
3- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 49.
4- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 49.
5- الدباغ، المصدر السابق، ص 62.

سنة 248هـ- 856م في جامع القيروان أكمل إصلاح قنطره باب أبي الربيع بعدما كسرها السيل العظيم الذي أصاب القيروان سنه 247هـ- 861م[1]، بنى في جامع عقبة البهو هو الرواق على جانبها الأعمال والإنجازات التي قام بها زادت من علو شأنه ليس فقط في نظر العامة بل حتى في نظر الفقهاء فقد أقام أحواضا مائية لسقي العطس وعدد عديد من الأعمال جيده في عهده[2].

* **زيادة الله الثاني 249- 250هـ/ 863- 864م:** يعرف بزيادة الله الأصفر لم تدم ولايته طويلا كان حسن السيرة غافلا حليما ذو رأي ووجود وشجاعة[3].

* **محمد بن أحمد بن الأغلب.(أبو الفرانيق) 250- 261هـ/ 864- 875م:** لقب بأبي الفرانيق لأنه كان يحب ويهوى صيدها، أما عن حسن سيرته فابن خلدون يصفه باللهو والإسراف[4] في الشراب بينما أبي الأثر يصفه بعكس ذلك، حيث أنه كان أديبا وذا سيرة حسنة[5]، كانت في أيامه حروب وفتن فقد ثار عليه أهالي منطقه الزاب توفي سنه 261 هـ وكانت ولايته عشرة سنين وخمسه أشهر ونصف[6].

* **ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب (ابراهيم الثاني)261-286هـ/ 874م- 899م:** تاسع أمراء البيت الأغلبي وأطولهم حكما كان ابراهيم بن أحمد واليا على القيروان فأحسن السيرة في

1- ابن عذارى، المصدر السابق، ص 113.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 1584.

3- محمد طالبي، الدولة الأغلبية، 84-296هـ/800-909م، تاريخ السياسي، تر: المنجي الصيادي، دار الغرب الاسلامي. ط1، بيروت، 1985، ص 280.

4- محمد عليلي، الاشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستوميين خلال القرنين 2-3 هـ، مذكره ماجستير، تاريخ المغرب الوسيط، جامعه تلمسان، 2008- 2007، ص39- 49.

5- محمد طالبي، المرجع السابق، ص 82، ابن عذارى، البيان، المصدر السابق، ص 116.

6- ابن أبي زرع القاسي، الأنيس المطرب برووض القرطاس في أخبار ملوك المغرب والتاريخ مدينة فاس، المتصور للطباعة والورقة، الرباط، 1972، ص 96.

أهلها وحصل على ودهم، وعندما توفي أبو الفرانيق حمله أهل القيروان على تولي أمور البلاد بعده وبايعة مشايخ افريقي ووجوهها[1]، وبايعه جماعة من بني الأغلب واتسم حكمه في السنوات الست الأولى بالرزانة والعدل والفلاح، فقد عمل جاهدا على توطيد الأمن عن ربوع البلاد وحارب الفساد والمفسدين، لقد صرف جهدا كبيرا في المنشآت الدينية كالمساجد وقصور العبادة في كل مدن السواحل في افريقية وصقلية حماية للمسلمين فهو الذي أكمل تجديد جامع الزيتونة، واكتملت في أيامه سلسلة من المحارس والحصون على الشواطئ والسواحل[2]، اتخذ لنفسه عاصمة جديدة كما فعل ابراهيم الأول، فابتدأ ببناء مدينة" رقادة" 263هـ- 877م[3]، كما بنى قصر الفتح فيها عام 264هـ- 888م، وانتقل إليها من العباسية التي صارت منذ العصر القديم، واتخذها دارا ووطنا، وبنى فيها قصورا وفي عهده تعرضت بلاد المغرب والأندلس لكوارث طبيعية منها زلزال 22 شوال 267 هـ- 892م[4]، كما أدت المجاعة إلى هلاك عدد كبير من الناس وواجه ابراهيم الثاني الأزمة الأزمة المالية وكان متقلبا في شخصيته فسره كثير من المؤرخين بمرض عقلي توفي سنة 289- 901م في صقلية[5].

***أبو العباس عبد الله الثاني: 289- 290 هـ/ 903 - 904م:** كان حسن السيرة كثير العدل صاحب معروف وإحسان، تميزت سياسته بالرفق بالرغبة وإنصاف المظلوم ومجالسة أهل العلم وأظهر التقشف والجلوس على الأرض، حتى أنه أمر بسجن زيادة الله وأخذ ما كان معه من أموال

1- ابن العذارى، المصدر السابق، ص 116، ابن خلدون، المصدر السابق، ص 1584.

2- يوسف علي بديوي، المرجع السابق، ص 76.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 36.

4- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 52.

5- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 1587.

والعدة لما بلغه عنه من اللهو والإسراف في الملذات[1]، إن انتحال عبد الله الثاني مذهب من قالوا بخلق القرءان جلب له سخط العامة، كما أن خطر المذهب الشيعي استفحل بعدما شربت الدعوة الفاطمية إلى المغرب وبتآمر من زيادة الله التالي مقتولا على يد فتيين كان يثق بهما 290/ 903م[2].

*** أبو مضر زياد الله الثالث 290 –296هـ/ 903 –909 م:** في وقت تعاظم فيه شأن أبي عبيد الله الشعبي، انصرف هذا الأخير إلى اللهو وشرب والخمر ومعاشرة المضحكين، وأهمل الرغبة وأمور الملك مما أتاح الفرصه لعبد الله الشيعي وهذا ما نفهمه من قول ابن الأثير" ثم أتاه خبر مقتل أبي العباس وولاية زياده الله واشتغاله باللهو واللعب فاشتد سروره"[3].

لقد أدى ضعف حكام الأغالبة وفساد نظام الحكم إلى نجاح أفكار عبد الله الشيعي وانتشاره، فبدأت أولى المواجهات بينه وبين سنة 287هـ/ 909م، وأسفرت معظمها على ضعف الجيش الأغلبي وبالتالي انهزامه وسقوط مدن كثيرة على يد أبي عبد الله الشيعي[4].

3– القيروان في أوائل العصر العبيدي:

لما حل أبو عبد الله الشيعي بمدينة القيروان آمن أهلها وولى عليها الحسن بن أحمد بن علي بن كليب المعروف با أبي خنزير وأمره بقتل من خرج ليلا أو شرب خمرا أو حمله أو وجد عنده[5]، وولى القضاء محمد بن عمر بن يحيى بن عبد الأعلى المروزي من جند خرسان، ويبدو أنه قد

1– ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 53.

2– القاضي النعمان، افتتاح الدعوه، تح: فرحات البشراوي، الشركه التونسية للتوزيع، تونس، ص 155.

3– ابن الأثير، المصدر السابق، ص 128.

4– حسن ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، في مصر، سوريا وبلاد المغرب، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958، ص 50.

5– ابن عذارى، المصدر السابق، ص 151.

اعتنق المذهب الشيعي منذ فترة طويلة وتم ذلك في أول رمضان سنه 296 هـ /909م[1]، وقدم عبيد الله المهدي إلى رقاد، فلما قرب منها أهل القيروان فسلموا عليه فرد ردا جميلا، أمرهم بالانصراف وحل في قصر الحصن برقادة وأنزل ابنه القاسم قصر الفتح وفرقت دور رقاده على كتامه، فلما استقر عبيد الله في رقادة سمر بالمهدي وكتب إلى الجميع وأخذنا البيعة وأمر الخطباء بذكر اسمه على المنابر والدواوين وتلقب بأمير المؤمنين[2]، أما القيروان فقد أقر عليها المهدي الحسن بن أبي الخنزير وعلى القضاء بها المروزي وأمر أن تقلع من المساجد والمواجل والقصور والقناطر وكتب عليها اسمه.

وقعة كتامة بالقيروان: في 299 هـ- 911م كانت وقعة كتامة بالقير لأن رجال كتامة البربر الذين يشكلون الجيش المهدي[3].

يشكلون جيش المهدي وحماته كانوا يتمادون على أهل بالتطاول والأذى حتى شرق الناس بهم فقاموا عليهم في بعض الأيام بسبب استطاله رجل من جنب كتامة على رجل من تجار أهل القيروان، فلما دفعوه عنه شهروا عليه السلاح وأرادوا نهب حوانيت[4]، فصاح أهل الأسواق" النفير النفير" فقتل كتامة أكثر من ألف رجل فركب أحمد بن خنزير صاحب القيروان فسكن الناس وأمر بتغييب القتلى، ولحق من كان حول رقادة من كتامة بلا باب بيلائهم[5]، فلما حصلوا بها أظهروا

1- ابن العذارى، المصدر السابق، ص 151.

2- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 55.

3- مرمول محمد الصالح، سياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الاسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 182.

4- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 56.

5- ابن العذارى، المصدر السابق، ص 159.

الخلاف على عبد الله فحاربهم ابنه أبو القاسم وانتصر عليهم وعاد إلى رقادة ومعه الأسرى فطوفوا بالقيروان على مجال وعليهم القلانس الطوال ثم قتلوا برقادة[1].

ثالثا: القيروان ودورها الاقتصادي وأثره

مما لا شك فيه أن القيروان بنيت لتكون قاعدة حربية لجيش المسلمين ولتكون منارة الإسلام في الشمال الافريقي ومركزا يستقر فيه المسلمين وتوجه منه سياستهم، ولذلك لم تلبث أن صارت المقر الرئيسي للحكم الإسلامي في شمال افريقية وتوطدت الحياة فيها سياسيا واقتصاديا، لقد تحدثنا على الحالة السياسية ودورها ونتحدث الآن عن الحالة الاقتصادية لمدينة القيروان ودوره. وقد بدأت الحياة الاقتصادية فيها بعد ان انتهت فترة الفتح في أيام حسن بن النعمان أن انتهى حسان من فتوحه، وعاد إلى القيروان فرتب دواوينها ثم وجه عنايته إلى الناحية الاقتصادية فوضع الخراج على عجمي افريقية وعلى أقام معهم على النصرانية[2]، والروم ثم وجه همته منذ البداية إلى الاهتمام بالصناعة، فأنشأ دار لصناعة وعمل المراكب واستقدم الى قنطار من مصر بأسرهم إلى افريقية فكان ذلك بداية لنشأة صناعة السفن بافريقية وتأسس الأسطول البحري والتجارة والصناعة والآلات الحربية[3].

1- الزراعة في القيروان:

كثرت محصولات القيروان وتنوعت وجلبت إليها أنواعا لم تكن موجودة قبل ذلك وكانت زراعة الزيتون تدر دخلا كبيرا لأهل افريقية، تحدث عنه بن عبد الحكم بأنه كان يوضع بين يديه، أو عبد

1- ابن العذارى، المصدر السابق، ص ص 166- 167.

2- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 201.

3- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 64.

الله بن سعيد الكوم من الورق فيقال للأفارقة من أيديكم هذا، قال: فجعل انسان منهم بدورك الذي يلتمس الشيء حتى وجد زيتونة فجاء بها إليه فقال: من هذا نصيب الورق قال كيف؟ قال: أن الروم ليس عندهم زيتون فكانوا يأتون فيشترون منا الزيتون فنأخذ هذا الورق منهم[1].

وقد عنى الولاة وخاصة بني المهلب بتوزيع قوات الأرض على من يستحقها وكانوا يخففون البادية الخراج ولا يثقلوا كواهلهم بالضرائب وفي أيام الأغالبة أقيمت مشاريع الري العام وأقيمت القناطر والجسور والسدود للانتفاع بالمياه في الزراعة فكانت أشجار الزيتون بالجهة الشرقية للقيروان الساحل، وكانت زراعة الحبوب في الشمال حول وادي مجردة على طول مسيرة أيام وكان في الجهة الجنوبية بلاد الجريد واحات النخيل الكثيرة وهكذا كانت البلاد مخصبه حول القيروان، حيث ترد إليها محصولاتها[2]، فكان الزيت يصل إلى القيروان من الساحل حيث أشجار الزيتون كانت الحنطة وأنواع الحبوب والزعفران يأتيها من باجة وضواحيها، وكانت الحناء والكمون والكروياء والقطن العصفر والحبة الحلوة تأتيها من قابس كما ترسل إليها قفصة وفسطيلية العديد من القوافل المحملة تمرا وفستقا، أما بقية الفواكه والبقول كالا ترج وقصب السكر وغير ذلك، فكانت تأتيها من الضيعات حول القيروان وقد جلب أراضيها ماء الأودية في الجداول والقنوات المبنية بالحجارة حيث تسقى بساتينها من الآبار بالدواليب التي تديرها البغال والجمال[3]، ويذكر الباكر أن قابس[4] فيها جميع الثمار والموز بها كثير وهي تمد القيروان بأصناف الفواكه وأن بها شجر التوت الكثير الذي ساعد على انتاج أجود أنواع الخرير، كما أن بها قصب السكر وكان دود

1- المالكي، المصدر السابق، ص 38.

2- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 66.

3- محمد محمد الزيتون، المرجع السابق، ص 185.

4- لاين عبد الحكيم، فتوح، مصر، المصدر السايق، ص 185.

القز وشجر التوت والأرز قد جلب مع الجيش الخرساني عندما جاء إلى القيروان في القرن الثاني الهجري وعن فحص القيروان كان يزرع الفول الذي يدر مالا كثيرا[1].

كما كان برقادة المدينة الملوكية الأغلبية الغريبة من القيروان الحمضيات البرتقال والليم الحلو والليمون، وقد نقلت إليها عن الهند الصينية ويذكر المؤرخين أنواعا من المزروعات الأخرى عدا ما ذكر العنب والزعرور والخروب والقراصيا أو حب الملوك والمصع[2]، من أنواع المزروعات التي أدت إلى رقي الزراعة في القيروان وضواحيها والأقاليم التي تمدها بمنتوجاتها[3].

كما يلحق بالزراعة اعتناء الفلاحين بتربية المواشي، ولا سيما الغنم، ويتحدث ابن خلدون عن مكاسب البربر بأنها الشاة والبقر والخيل في الغالب للركوب والنتاج ربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعه منهم شأن العرب ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة معاش المعتزين أهل الانتجاع والأظعان في نتاج الغبل وظلال الرماح[4].

2- الصناعة في القيروان:

كان الاهتمام المبكر من الولاة بصناعة السفن الحربية والتجارية والآلات الحربية وبضرب النقود مما سبق ذكره، ثم بدأت القيروان تنمو مكانتها الصناعية بعد ذلك وأهم الصناعات التي ازدهرت في القيروان صناعة المنسوجات الصوفية، وتتمثل في السجاد العربي الذي يسمى بالزربية، ويمتاز بالزخرف الهندسي وقد وجد في القيروان بعد وصول الجيش الخرساني في القرن الثاني الهجري ومعه السجاد العجمي الإيراني حيث نشأ عنه السجاد القيرواني المشهور ودخله

1- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص ص67-68.

2- المصدر نفسه، ص 204.

3- بن عبد الحكيم، المصدر السابق، ص 186.

4- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص ص 157- 158.

عنصر الحرير وأسلاك الذهب والفضة والتكليل بالجواهر والزخرف[1]، كما تتمثل صناعة المنسوجات الصوفية في الغطاء وأهم وأنواعه الففصى والتوزرى الممزوج بالحرير والجرير والكافى ومن الصوفيات الأقمشة الصوفية الرفيعة ومنها الجوخ ويسمى وبنونس الملف[2].

والمنسوجات القطنية حيث كانت تصنع الأقمشة التي كانت تطرز بالحرير وتشغل بالإبرة أو تطبع بالألوان والزخارف والمنسوجات الكتانية التي كانت تزرع بالوطن[3] القبلى، حيث تستخرج سلوك وتصبغ وتصنع منها الأقمشة اللازمة للثياب الداخلية أو للثياب الصيفية وتدخله بذلك وكان بها غزل يباع زنة المثقال منه بمثقالين من ذهب وبعد كانت تقصر ثياب القيروان الرقيقة[4]، وبذكر المفريزى أن المعز لدين الله الفاطمي عمل له مصور للعالم ووصفه بأنه مقطع من الحرير الأزرق التستري القرقوبي غريب الصنعة منسوج بالذهب وسائر ألوان الحرير، كان المعز لدين الله أمر بعمله في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة فيه صورة أقاليم الأرض وجبالها وبحارها ومدنها وأنصارها ومساكنها وفيه صورة مكة والمدينة مبينة للناظر مكتوب على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه بالذهب أو بالفضة أو الحرير وفي آخره، مما أمر بعمله المعز لدين الله شوقا إلى حرم الله وإشهار لمعالم رسول الله صلى الله وسلم في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة والنفقة عليه اثنان وعشرون ألف دينار، ولقد كان للأمراء مصنع خاص يسمى دار الطراز تصنع فيه الأقمشة الملوكية ذات الزينات العجيبة والصور اللطيفة المحلات بالخط الكوفي[5]، أن من إبداع القطع الحريرية القابسية "العجار" التونسي وهو خمار للنساء التونسيات جامع للزخرف الهندسي والنباتي

1- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 158.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 89.

3- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 206.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 90.

5- المقيبسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، دار مصادر، بيروت، 1909، ص 86.

والحيواني والخط الكوفي مع ألوان بارعة وأشكال لطيفة جامعة ومنها الأقمشة العجيبة من شاش ودمقس وغيرها[1].

ومن الصناعات الشهيرة والراقية صناعة الزجاج والبلور ومنها تتخذ الأواني والتحف اللطيفة الملونة والقنينات الكثيرة المزخرفة والمذهبة التي كان يستعملها الصيادلة كما استعمل الزجاج في الشمسيات والقمريات وهوكور عن الجدران والشمسيات موجودة بجامع القيروان منذ القرن الثالث على عهد الأغالبة، واتخذ الزجاج في الثريات وتبليط الأرضية المنصورية غرب القيروان، وكان في القيروان حي خاص بالزجاجيين كما شاعت في القيروان صناعة الخزف المطلي والأبيض واتخذت منه أواني الماء شديدة البياض، وقد وبجانب هذه الصناعات كانت توجد صناعة السكريات وصناعة الصابون الذي وجد بالقيروان من العهد الفاطمي كما كانت توجد صناعة الورق التي انتشرت في القيروان في آخر أيام الأغالب وكانت هذه الصناعات منتشرة حتى عند النساء اللواتي يصنعن مدخر السنور لأزواجهن[2].

3- التجارة في القيروان:

نتج عن النهضة الزراعية والصناعية التي كانت في القيروان نشاط تجاري واسع داخلي وخارجي ساعد على استقرار الأمن وتسهيل سبل المواصلات بالإضافة إلى كثرة الإنتاج الزراعي والصناعي الذي ساعد على التقدم الاقتصادي في القيروان[3].

1- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 160.

2- المرجع نفسه، ص 161.

3- ابن حوقل، صورة الأرض، جار مصادر، بيروت، 1928، ص 94.

وقد كانت المنتجات الزراعية في سائر الإقليم حول القيروان تحمل إليها المنتجات الصناعية في الإقليم كله فكانت القيروان بذلك سوقا كبير للمنتجات الزراعية والصناعية ومقرا للتجارة الداخلية والخارجية[1].

ويصفها ابن حوقل بأنها "أعظم مدينة بالمغرب وأكثرها تجارة وأموالا وأحسنها منازل وأسواقا وكان فيها ديوان جميع المغرب وإليها تجبى أموالها وبها دار سلطانها"[2]، وبذلك كان يقصدها التجار من داخل الإقليم ومن خارجه فكانت سوقا كبيرا للتجارة الداخلية والخارجية، وقد سبق أن ذكرها في حديثنا عن تأسيس القيروان وهناك أسواق أهمها هو سماط القيروان ثم أسواق أخرى خاصة بالصيارفة والجوهريين والغزل والسراجين والبزازين والرهادرة وسوق اليهود وغير ذلك من الأسواق[3]، وقد قام يزيد ابن حاتم بترتيب أسواق القيروان وغير ذلك من الأنواع المختلفة من المنتجات التي تحمل يوميا أسواق القيروان وبذكر البكرى الطرق والمسافات وأنواع المنتجات التي كانت تحمل يوميا إلى أسواق القيروان العامرة النافقة بما يدل على رواج التجارة بها[4].

كما أدت زيادة المنتجات على الاستهلاك المحلي إلى قيام تجارة خارجية كانت تحمل الصادرات كما تأتي ببعض الواردات وتجارة الزيت كانت رائجة من القدم مع الروم توسع تصديره إلى مصر وصقلية أمدت القيروان مصر بالقمح عند حدوث المجاعة أثناء الفتح الفاطمي لمصر.

1- البكر، المصدر السابق، ص 32.

2- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 95.

3- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 169.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 201- 203.

كما كان للقيروان علاقات تجارية في بلاد السودان الغربي وما يجاورها من البلاد الواقعة حول بحيرة تشاد، مما ساعد على وجود الذهب المجلوب من تلك الأصقاع إلى القيروان ولقد سن المعز لدين الله القانون التجاري وشجع التجارة مما أدى إلى رواجها[1].

ومن الصناعات أيضا مدبوغات الجلد القيروانية التي تدبغ بشكل خاص للكتابة عليها ولازال يوجد بجامع القيروان مجموعات من المصاحف وغيرها المكتوبة على هذه الرفوف الداعية للإعجاب والدهشة وخاصة مصحف الآنسة فضل ومصحف الاضنة أوملال ومصحف الرق الأزرق وغيرها[2]، وأهم المصنوعات الجلدية "السروج" البسيطة والمطرزة بالحرير والمزركشة بالذهب والفضة، كما اتخذت من الجلود أيضا الأحذية والمناطق وبعض الألبسة والمحافظ بالإضافة إلى تجليد الكتب التي ظهرت بالقيروان في عهد الأغالبة أو قبل ذلك بقليل وتوجهت عناية الأغالبة إلى زخرفة الجلد بالتطريز والنفخ والتكليل بالجوهر[3]، ومن الصناعات بالقيروان الصناعات الخشبية المتعلقة بالأبواب والنوافذ والشرفات وقد يكون الخشب مطعما مع بعضه مع فرز الألوان والأشكال ومنه ما يكون مركبا من عظم صغيرة مخروطة تلصق مع بعضها وتسمى"فرخة" و"رعرناصة"[4] ومن ذلك محراب جامع القيروان الذي فيه مربعات وإطارات من خشب الساج المجلوب من الهند الصيني ومن ذلك مقصورة جامع القيروان التي زخرفت بالخط الكوفي المزهر والمعقد والمتعانق والمرتبط مع بعضه بعريش من العنب منقوش على البارز في صميم الخشب وهذا النوع من الكسو موجود كثيرا في الفن الفاطمي، وكان في القيروان أيضا صناعة الصدفيات والعاجيات وخاصة من

1- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 163.

2- البكري، المصدر السابق، ص 25.

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 203-204.

4- ابن العذاري، المرجع السابق، ص 121.

سن الفيل وتوجهت إلى ذلك عناية زائدة في تلبيس أو ترصيع المربعات والمرايا والقباقيب والمناضد والخزائن وسفر الطعام والكراسي والمقاعد[1].

من كل ذلك يتبين لنا مدى التقدم التجاري الذي كانت تعيش فيه القيروان ويكفي دليل على ذلك ما ذكره البكري و أحد أبواب القيروان من كل يوم سنة وعشرون الف درهم[2].

تلك لمحة عن التقدم الاقتصادي المتمثل في الزراعة والصناعة والتجارة ويكفي دليلا على ذلك كثرة الانفاق على المشروعات والصيات التي كانت تقوم بها السلطة الحاكمة في القيروان، ومن الأمثلة القليلة في ذلك ما قامت به دولة الأغالبة والفاطميين من بناء المدن وتوسيع وفعة الدولة بالفتوح وزيادة العطاء للجند وبناء حوالي عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد وبناء الأسوار[3].

وهذا بلا شك يدل على وفرة الاموال وتقدم البلاد ورخائها الواسع وازدهارها اقتصاديا وليس معنى هذا التقدم الاقتصادي أن القيروان لم تمر بأزمات اقتصادية.

وفي سنة 275هـ حاول الأمير الأغلبي إدخال إصلاح في العملة وذلك بضرب دراهم صحاح خالصة العيار وجعل كل عشرة منها تساوي دينارا ذهبيا وقد سماها العشارية وأمر بقطع التعامل بالمقطوع من الدراهم التي كانت تتخذ قبل ذلك، إلا أن السكان ثاروا عليه واضرب التجار وأغلقوا حوانيتهم وكانت الثورة التي تعرف بثورة الدراهم، ولا شك أنه كان هناك تأثير كبير بمدينة القيروان على بلاد المغرب الاسلامي في الدور الاقتصادي عليها والاستمرار في النمو والازدهار بما حقق للقيروان وضعا اقتصاديا قويا[4].

1- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص ص 166-167.

2- البكري، المصدر السابق، ص ص 26-30

3- ابن العذاري، المصدر السابق، ص 113.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 221.

الفصل الثـــالث :
الدور العلمي والاجتماعي والعمراني لمدينة القيروان وأثره الحضاري

أولا: الدور العملي لمدينة القيروان

ثانيا: الدور الاجتماعي لمدينة القيروان

ثالثا: الدور العمراني لمدينة القيروان

أولا: الدور العلمي لمدينة القيروان

أصبحت القيروان منذ أن بدأ عقبة بن نافع الفهري بنشر الاسلام وتأسيس مدينة داعيا ان يملاها الله علما وفقها منارة العلم انتشر اشعاعها في أنحاء العالم الاسلامي ولم يقتصر ذلك على العلوم الشرعية[1]، وإنما أبدعت أيضا في العلوم أخرى منها الاقتصادية والاجتماعية والعقائدية إضافة إلى الطب والهندسة والفلك والآداب، ولم تتحصر هذه العلوم والآداب في القيروان وما جاورها من بلاد المغرب وإنما وصلت إلى الأندلس كما وصلت إلى المشرق حيث الحجاز والعراق والشام ومصر[2].

أصبحت القيروان بمرور الوقت واطراد التقدم تجذب الدراسات وتخرج العلماء كثيرا من عندها ولعلا جانب العلمي لمدينة القيروان هو موضوع قاتم بحد ذاته، وكان العلماء من الاختصاصات المختلفة يلتقون فيها التزود بالعلم[3].

وينشرون فيها الافادة الراغبين فيه، وقبل تحدث عن الدور العلمي الفاعل للقيروان لابد من الاشارة إلى أن بلاد المغرب ظلت تابعة للخلافة الاسلامية الاموية ثم العباسية بالمشرق، وكان عمال الأمويين على هذه البلاد يستقرون في القيروان[4].

وكانوا من العرب مثل: حسان بن النعمان وموسى بن نصير وعبد الله بن الحبحاب التي تم ذكرها في الفصل الثاني في دور السياسي وقد تميز عهد هؤلاء بأعمال جليلة في توطيد الاسلام بين السكان.

1- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 182.
2- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 54.
3- لبن العذراى، المصدر السابق، ص ص 92- 93.
4- أبي دينار، المصدر السابق، ص 64.

وفي دعم الاستقرار بالإصلاحات المختلفة، فحسان إضافة إلى تعربيه الدواوين جعل اللغة العربية لغة البلاد الرسمية. كما أنه جلب الأقباط من مصر لبناء السفن وإنشاء الموانئ مستهدفا حماية السواحل، أما عبيد الله بن الحبحاب الذي ولاه الخليفة هشام بن عبد الملك افريقية فقد اسس جامع الزيتونة الذي اصبح فيها بعد مركز اعظميا الثقافة واللغة العربية[1].

وشهدت بلاد المغرب في عهد الخلافة العباسية التي أعلنت سنة 132هـ- 749م حركات انفصالية قام بها العلويون مطالبين بالخلافة وقد تمكن هؤلاء من اقامة اولى دولهم وهي الدولة الإدريسية التي اسسها في المغرب الأقصى ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن ابن عبد على بن أبي طالب سنة 169هـ- 785م وبوبع بالخلافة استعمرت هذه الدولة في سنة 365هـ- 976م حيث أنهاها الفاطميون[2].

أما القيروان فقد تمكن ابراهيم بن الأغلب الذي ولي افريقية للخليفة العباسي هارون الرشيد سنة 184هـ- 800م وجعل الولاية وراثية لأبنائه وجعلها اي القيروان عاصمة لدولة الأغالبة التي تمكنت من فتح صقلية وسردية ومالطة. واستمرت حتى أزالها الفاطميون سنة 296هـ- 908م وكان الفاطميون الذين طهور أول أمرهم في المغرب الاقصى. وقد سيطروا على بلاد المغرب كلها وزحفوا شرقا سنة 358 هـ- 968م ونقلوا مركز خلافتهم إلى مصر[3].

1- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 147.

2- المالكي، المصدر السابق، ص 65.

3- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام من هب مالك، تح: أحمد بكير محمود، دار المكتبة، بيروت، د. ت، ص 465.

كانت القيروان خلال معظم هذه الفترات ولأحداث السياسية التي تعاقبت على البلاد المغرب تقوم بدورها العلمي والفلكي والحضاري وقد ازدهر هذا الدور في عهد الأغالبة واستمر حتى رحيل الفاطميين الى مصر[1].

وكانت البداية ذلك على أيدي الصحابة والتابعين الذين دخلوا القيروان مع عقبة بن نافع الفهري وبعده خاصة في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الذي اتبع سياسة تهدف إلى نشر الاسلام وإدخال الناس فيه من اهل البلاد المفتوحة بالرفق والحسنى والدعوة إلى الاسلام ومن الصحابة والتابعين الذين دخلوا القيروان أبو ذر الغفاري أبو عبد الله عمر وبن عون المزني، وسلمة بن عمر وبن الأكوع الأسلمي، وأبو زمعة عبيد بن ارقم البلوي، وأبو محمد فصالة بن عبيد الانصاري وغيرهم[2].

وقد كان هؤلاء ينطلقون من القيروان إلى أنحاء بلاد المغرب لتدريس ونشر التعليم الاسلامي وكانوا أيضا يعلمون الصغار القران الكريم، ويعتقدون حلقات العلم في المساجد، تلك الحلقات التي كان الدارسون فيها يتلقون الحديث والاحكام الفقهية والتفسير والسيرة النبوية[3].

وقد حظيت القيروان بعديد من الشعراء البلغاء، ورواه الادي الذي حملوا ووقائعها ومن هؤلاء، الحكم بن ثابت السعدي الذي دخل القيروان سنة 144 هـ- 761م وكان تأثير كبير في افريقية،

1- المالكي، المصدر السابق، ص 250.

2- القاضي عياض، المصدر السابق، ص 576.

3- الدباغ، المصدر السابق، ص 202.

وروى عنه ابناؤها كثيرا من أشعار العرب[1]، ومنهم ربيعة بن ثابت الاسدي وعامر بن المعمر بن سنان التيمي المشهر التميمي[2].

وكان للنجاة الذين هاجروا الى القيروان قادمين من المشرق تأثير كبير في البلاد المغرب ومن هؤلاء أبو علي الحسن بن سعيد البصري الذي يعد من كبار النحاة البصريين، وقد ادركته الوفاة في القيروان حوالي سنة 178 هـ / 794م[3].

وقد مهد من هاجروا من المشرق الى القيروان خلال القرنين الاول والثاني الهجريين من الأدباء والنحاة والمفكرين الى تأسيس حياة الفكرية وازدهرت واتسعت وازدادت انتشار منذ القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي في مختلف الأرجاء[4].

وقد كان هذا الازدهار ملحوظا في العلوم الاجتماعية والتربوية والترجمة والعلوم الطبيعية من طب وصيدلة ورياضة وفلك وكيمياء.

وأثمرت ذلك مؤلفات كثيرة في التخصصات المختلفة تلك المؤلفات التي أفاد منها الناس كثيرا ومازالوا. ففي مجال الفقه تبع فقهاء في مختلف المذاهب وخاصة المذهب المالكي، ومن هؤلاء أسد بن القرات الذي الف كتابه الاسدية المكونة من ستين بابا جمع فيها معظم مسائل مالك[5].

1- بن رشيق الحسن القيرواني، انموذج الزمان في شعراء القيروان تح: محمد العروسي المطوي والبشير البكوش، دار التونسية للنشر، تونس، 1986، ص ص 224- 122.

2- أبو داوود سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تح: سيد فؤاد، القاهرة، 1955، ص 122.

3- الدباغ، المصدر السابق، ص ص 136 – 138.

4- المالكي، المصدر السابق، ص 407.

5- القاضي عياض، المصدر السابق، ص 322.

ومنهم أبو سعيد عبد السلام بن سعيد حبيب التنوفي الشهير ب (سحنون) الذي تلقى العلم عن كثير من العلماء الامصار الاسلامية، وألف كتابا حمل اسمه، كانت المدونة الكبرى التي جمع فيها مسائل الفقه على مذهب الأمام مالك اشهر مؤلفاته[1].

وقد أقبل علماء القيروان على هذه المدونة بالاختصار والشرح والتعليق، وكان لذلك أثر كبير في توجيه الفقه في جميع بلاد المغرب[2]، ومن فقهاء المؤثرين أيضا أبو عثمان سعيد بن محمد الفساني المعروف بابن الحداد الذي ألف الفقه عددا كبيرا من الكتب منها: ايضاح المشكل والاستيعاب والأماني، وعصمة النبيين والاستواء[3].

ونمت في القيروان وازدهرت الى جانب العلوم الشرعية العلوم العربية، وخاصة خلال حكم الاغالبة والفاطميين، وقد وصفت بعض المصادر ابراهيم بن الأغلب راس وحزم ومعرفة بالحرب، جرئ الجنان طويل اللسان، حسن السيرة[4].

وبرز من الأغالبة بعض الأدباء والخطباء مثل محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب الذي ألف كتاب: راحة القلب وكتاب الزهر[5]. أما الشعر فكان من ابرز فحوله في القيروان: مجبر بن ابراهيم بن سفيان وأحمد بن ابي سليمان داود الربعي المعروف بالصواف الذي تتلمن عليه كثيرون.

1- المالكي، المصدر السابق، ص 327.

2- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 392.

3- ابن العذري، المصدر السابق، ص 37.

4- النويري، نهاية الأدب في فنون الأدب، تح: أحمد كمال زكي ومحمد زيادة، 1980، الهيئة المصرية العامة لكتاب، القاهرة، ص 217

5- ياقوت الحموري، المصدر السابق، ص 172.

وأبو القاسم محمد بن عبد الله القراري، وهو من أبناء القيروان وشعرائها المجيدين وقد ظهر ايام الفاطميين، وبرز في الادب وخاصة الشعر، وبذل علماء القيروان جهود الكبيرة في تحصيل العلوم العربية من نحو وصرف النيحر فيها، واستطاع بعضهم ان يضيق اليها علما جديدا هو علم النحو المقارن، وقد بدأت ذلك يهود ابن قريش الناهرتي الذي قارن نحويا بين اللغات العربية والعبرية والبربرية واثبت أن أصلها واحد، وقد سار على نهجه العلامة دونش بن تميم الذي ألف في اصول اللغتين العبرية والعربية[1].

وقد اشتغل بالنحو من أبناء القيروان أبو الوليد عبد الملك بن قطن المهري القيرواني الذي حفظ أنساب العرب وأشعارها ووقائعها وأيامها، وصار شيخ النحويين واللغويين والرواة بالقيروان وقد تلقى عليه أبناؤها علوم العربية واخذ عنه كثير من العلماء في المشرق والمغرب، وله كتب كثيرة منها كتاب في اشتقاق الأسماء[2].

وكان عبد الله بن اسماعيل الذي اشتهر بحمدون النحوي من كبار تلاميذ أبي الوليد المهري القيرواني، فقد تلقى عليه علوم العربية، وكان يحفظ كتاب سيبويه، وقد افتتح مكتب في القيروان لعقد حلقات يستمع اليه فيها المهتمون بالنحو واللغة من العلماء، ويقصده الطلاب من أنحاء بلاد المغرب[3].

1- الدباغ، المصدر السابق، ص ص 137 – 138.

2- المالكي، المصدر السابق، ص ص 407 – 409.

3- القاضي عياض، المصدر السابق، ص 322.

وممن اشتغلوا بالنحو وعلوم اللغة في القيروان ابو عبد الله محمد بن جعفر التميمي القزاز الذي ولد فيها في العقد الثالث من القرن الرابع الهجري، والف عشرات الكتب في النحو واللغة منها: الحروف، والمعترض، والمفترق، والجامع والمثلث وغيرها[1].

وكانت القيروان خلال الفترة ازدهارها تزخر بالأفكار العقائدية المختلفة فإلى جانب أهل السنة وهم الغالبية، وجد الزهاد والمتصرفون والخوارج والمعتزلة والشيعة وقد برز من معتنقي كل مذهب من يدافع عنه ويحاجج معتنقي المذاهب الاخرى وزاد ذلك من النشاط الفكري العقائدي، وأدى إلى تأليف عشرات الكتب في هذه المذاهب[2]، وممن الف في هذا المجال يحي بن عمر بن يونس الذي الف كتاب في الرواية وكتاب في الرد على الشكوكية، وكتاب في الرد على المرجئة[3].

ومحمد بن سحنون الذي يذكر المالكي أنه ألف نحو ماتتي كتاب منها رسالة في أدب المناظرة وتفسير الموطأ، والحجة على القدرية والحجة على النصارى والإباحة والرد على أهل الشرك[4].

أما الزهاد الذين ذاع صيتهم في القيروان وخارجها وكان الناس والمريدون يتحلقون حولهم فأشهرهم: أبو علي شقران بن علي، وأبو محمد عبد الرحمان بن عبد ربه الربعي الزاهد[5].

1- محمد محمد زيتون، المراجع السابق، ص 392.
2- البكري، المصدر السابق، ص 36.
3- ابن العذراى، المصدر السابق، ص 36.
4- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 178.
5- الدباغ، المصدر السابق، ص 100.

وكانت تعقد مناظرات كثيرة بين المعتزلة والشيعة وخاصة بعد أن قدم دعاة الفاطميين إلى المغرب، وحاولوا بث أفكارهم في القيروان تلك الافكار التي وصلت إليها بقوة في اواخر دولة الأغلبة.

وليس من شك في ان صراعا عنيفا استمر طويلا بين اهل السنة ودعاة الشيعة مما أدى إلى وجود ثروة كبيرة من المؤلفات والمدونات التي توضح عقائد كل طرف، ومن ثم انتشار تلك المؤلفات في أنحاء المغرب. واهتم القيروانيين بالتاريخ ومن أقدم مؤرخيهم عيسى بن محمد بن أبي المهاجر دينار حفيد أبي المهاجر الذي ولي افريقية بعد عقبة بن نافه الفهري. فقد ألف كتاب في فتوح افريقية[1].

ومن المؤرخين أيضا: أبو العرب محمد بن احمد بن تميمي صاحب طبقات علماء افريقية وتونس، وكتاب التاريخ، وكتاب مناقب بني تميم، وكان كتابه فضائل مالك، وكتاب فضائل سحنون وغيرها[2].

والجدير بالذكر ان البربر بعد اسلامهم واختلاطهم بالعرب المعروفين في الاعتناء بأنسابهم صاروا يقلدونهم في الاعتناء بالنسب. وقد بدأت عناية البربر بنسبهم في عهد الأغالبة واستمرت في العهود التالية[3].

وظهر في القيروان في القرن الرابع الهجري علماء الغوافي في المسالك والممالك، منهم: محمد بن يوسف الوراق القيرواني المتوفي سنة 363هـ- 973م، فقد الف كتابا ضخما في مسالك

1- المالكي، المصدر السابق، ص ص 92 – 95

2- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 222

3- القاضي عياض، المصدر السابق، ص 365

افريقية وممالكها، وهو كتاب مفقود غير أن بعض الجغرافيين مثل البكري نقلوا عنه ما يدل على أنه كان دقيقا في وصفه الجغرافي وملاحظاته العلمية في هذا الشأن[1].

وقد عمل الوراق القيرواني خريطة بين عليها أقطار العالم المعروفة في زمنه وما فيها من جبال وبحار وانهار وطرق ومدن، وهي الخريطة التي أمر الخليفة الفاطمي المعز سنة 353هـ-964م بعملها من الحرير الأزرق المنسوج بالذهب وقد ظهرت على هذه الخريطة مدينتا مكة المكرمة والمدينة المنورة[2].

وتدل الدقة الكبيرة التي عملت بها الخريطة على أن الفكر الجغرافي في القيروان بلغ شأنا بعيدا من التقدم وكان القيروان دور ملحوظا في الترجمة، وقد بدأت حركة الترجمة فيها بالنقل من اليونانية واللاتينية والعبرية إلى العربية[3].

ومن العربية إلى غيرها من اللغات، وقد انتقل جماعة من المترجمين القيروانيين إلى ايطاليا ونقلوا اليها كتب ابن الجزار الطبيب القيرواني مترجمة الى اللاتينية وكان بيت الحكمة الذي انشاه ابراهيم الثاني ابن الاغلب خلال فترة حكمه (261 هـ- 289هـ) وفي القيروان يعج بالمترجمين الذين ترجموا الكتب العلمية من طبية وصيدلية ونباتية ورياضية إلى اللغة اللاتينية، وقد ترجم قسطنطين الافريقي الإسحاقي بن سليمان الطبيب القيروان كتاب الحميان وكتاب البول وكتاب العناصر وكتاب الحدود والرسوم[4].

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 234 .

2- ابن العذاري، المصدر السابق، ص 78

3- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص200.

4- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 253

وترجم كتاب الملانخوليا للطبيب اسحاق بن عمران وكتاب زاد المسافر وقوت الحاضر للطبيب احمد بن الجزار القيرواني، كما ترجم مصنفات أخرى من غير الطب مثل كتاب البارع في الفلك والنجوم، وقد ترجم كتاب زاد المسافر الى اليونانية واللاتينية والعبرية وأخيرا إلى الفرنسية[1].

ويشار هنا إلى أن المعز لدين الله الفاطمي كان يجيد غير اللغة العربية، اللغات البربرية والسودانية واللاتينية والاسبانية والصقلية[2]، وهو الأمر الذي يدل على أن الترجمة ازدهرت في القيروان كثيرا مما أدى إلى انتشار المعارف الاسلامية ونشر الاسلام في بلاد المغرب وغيرها[3].

وشهدت القيروان اهتماما كبيرا بالعلوم الطبيعية والكيمياء والعلوم الزراعية والرياضية والفلك والنجوم، وقد ابتدأ بعضها في القيروان في منتصف القرن الثاني الهجري / الثامن من الميلادي ثم منها وازدهار حتى اصبح علماء كل علم يقومون بدور فكري حصب، ويسهمون في رقي الحياة وتقدمها[4].

وكان بيت الحكمة يستقدم الاطباء المشهورين من المشرق ومن هؤلاء اسحاق بن عمران الذي نشر الطب في القيروان وتلقى عليه عدد من أبنائها الطب والفلسفة وكان طبيبا حاذقا متميز بتأليف الادوية المركبة[5].

1- القاضي عياض، المصدر السابق، ص 467.

2- المالكي، المصدر السابق، ص 165.

3- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 135 .

4- ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الاعلام، تح وتعليق: أحمد مختار العيادي، محمد ابراهيم الكتابي، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص 134.

5- المالكي، ذ المصدر السابق، ص ص 165 – 167 .

وممن برع التلاميذ في القيروان زياد بن خلدون , واسحاق بن سليمان الاسرائيلي الذي وفد من مصر وابو بكر محمد بن الجزار وغيرهم[1].

وقد ألف ابن عمران وهو في القيروان عددا كبيرا من الكتب الطب منها: كتاب الادوية المفردة وكتاب نزهة النفس وكتاب في القصد وكتاب في النبض، وحمل الراية في مجال الطب في القيروان بعد اسحاق بن عمران: اسحاق بن سليمان الإسرائيلي، وهو من أهل مصر وكان في بداية يهتم بأمراض العيون وعندما سكن القيروان برع في الطب وألف فيه كتبا منها: كتاب الحميات وكتاب الأدوية المفردة والأغذية[2].

ونبع من أبناء القيروان في الطب: أحمد بن ابراهيم الجزار وقد ولد سنة 285 هـ من أسرة اشتغلت بالطب واشتهرت به وكانت له عيادة للمرضى فيها قسم للصيدلة[3].

وتلقي الطب عنه تلاميذ من أشهرهم أبو حفص عمر بن بريق الاندلسي الذي لازمه في القيروان مدة، وروى عنه مؤلفاته وعاد بعد ذلك إلى الأندلس حيث التحق بخدمة الأمراء الأمويين، وقد ألف ابن الجزار وفي الطب والتاريخ والجغرافيا والأدب. ومن مؤلفاته في الطب: كتاب زاد المسافر وقوت الحاضر، وكتاب العدة لطول المدة وكتاب الاعتماد في الأدوية المفردة وكتاب أصول الطب[4].

1- ابن العذارى، المصدر السابق، ص 40.

2- القاضي عياض، المصدر السابق، ص 335.

3- محمد محمد زيتون، المراجع السابق، ص 341.

4- المالكي، المصدر السابق، ص 327.

ومجريات في الطب والمختبرات، وطب الفقراء والمساكين وطب المشايخ والزكام: أسبابه وعلاجه والجذام ويعتبر كتاب (زاد المسافر) لابن الجزار من أهم الكتب الطبية التي الفها المسلمون وقد ترجم إلى اليونانية واللاتينية والعبرية توجد منه نسخ في مكتبات الجزائر وباريس[1].

وتقدمت في القيروان العلوم الهندسية وخاصة هندسة العمارة التي تلاحظ في مسجد القيروان وفي الآثار الباقية في المدينة من فسيقات وحصون حربية واستخدمت هندسة العمارة في تصميم سفن الأسطول الحربي والتجاري في الآلات الحربية كما اعتنى القيروانيين بالحساب وحركة الأفلاك والنجوم وتحديد الاوقات وخاصة أوقات الصلاة[2].

حيث تلقوا العلوم في ذلك عن علماء المشرق الذين تم استقدامهم إلى القيروان بعد تأسيس بين الحكمة ومن أشهر علماء القيروان في مجال الرياضة والفلك: أبو سهل ادنيم بن تميم الملقب بالشفلجي وقد ولد في القيروان اواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ودرس الطب والفلسفة والحساب والنجوم كما درس اليهودية وبرع فيها اليهود في الأندلس ومصر والعراق يستقنونه في مواقيت أعيادهم[3].

وقد عمل دونش في خدمة الفاطميين ايام خلافة المتصور والمعز لدين الله وألف كتبا كثيرا في الحساب والنجوم والطب كما الف في اللغة وفي اللغة والعقيدة اليهودية ومن مؤلفاته: كتاب في الحساب الهندي المعروف بحساب الغبار، وكتاب في الفلك وحركة الكواكب، وكتاب التخليص في الادوية المقررة وفي آخره بيان لأوزان[4].

1- الدباغ، المصدر السابق، ص 137.

2- القاضي عياض، المصدر السابق، ص 264.

3- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 345.

4- القاضي عياض، المصدر السابق، ص 95.

والجدير بالذكر أن تأسيس بين الحكمة كان خطوة علمية رائدة إلى تنشيط الوعي المكتبي وكان يضم اضافة إلى مؤلفات القيروانيين كتبا يتم شراؤها من الخارج فقد كان ابراهيم بن الأغلب يعطي البعثة التي يرسلها إلى بغداد أموالا لشراء نفائس، وخاصة الكتب العلمية وكانت مكتبة بيت الحكمة تفتح أو مقابلتها على الأصول المعتمدة وكان ابراهيم بن الأغلب يكلف كبار العلماء تصحيح مخطوطات المكتبية وتفسير مفرداتها[1].

وقد ورت الفاطميون بيت الحكمة بذخائره ونظامه الدقيق وأضافوا اليه معارفهم وكتبهم وعندما انتقلوا الى القاهرة نقلوا ما في بيت الحكمة من كتب ونمت المكتبة بمرور الزمن حتى بلغت نحو مليون كتاب في الفقه واللغة والنحو والحديث والتاريخ وسائر العلوم[2].

ثانيا: الدور الاجتماعي لمدينة القيروان

1/ الحالة الاجتماعية:

بدأت الحياة الاجتماعية في القيروان مند تأسيسيها وجعلها موطنا لجند المسلمين واسرهم فكانت تتسم بطابع الجندية في بداية امرها كمقر لجند المسلمين تتوجه منه الحملات لتوطيد السيادة الاسلامية وكمنارة هداية لنشر التعاليم الاسلامية السامية التي تدعو الى اقامة مجتمع ناهمن قوي الصلة بالله تعالى تسود بين افراده الحرية والمسواة والتعاون[3].

ولقد شارك المسلمين في مدينتهم منذ بداية تأسيسها الجند البربري واسرهم الذين اختنقوا الاسلام وحاربوا جنبا إلى الجند العربي وقد كثر هذا الجند وازداد امتزاجه عندما توطدت اقدام

1- الدباغ ، المصدر السابق، ص 139.

2- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 392.

3- المرجع نفسه، ص 168.

المسلمين في افريقية وتمكن حسان بعد هزيمة الكاهنة من أن يكون في جيشه اثنا عشر الف جندي من البربر يعيشون من الجند العربي ويمتزجون بهم ويعيشون معهم حياة اجتماعية تسودها الحرية والمساواة، من أثر ذلك أن عاشت أسر بربرية في القيروان واختلطت باهلها وكان بينهم تعامل ومصاهرة ومشاركة في الحياة الاجتماعية[1].

وقد استوطن القيروان وضواحيها من القبائل العربية: التميميون والأنصار الأوس والخزرج، الآزاد القيسيون، تنوخ، بنوجرير، الكنديون، كنانه وغير هؤلاء[2].

وعند استقرار الفتح في افريقية غدت القيروان مقر الوالي ومركز الدواوين الكبرى ومصدر التوجيه والادارة وقد كفل لها ذلك وضعا خاص جذب السكان من حول القيروان ومن الاقاليم لكي يغدوا إلى القيروان لقضاء حاجتهم في طمأنينة وسلام، وكان ذلك من العوامل التي ساعدت على تقدم الحياة الاجتماعية وتقوية الاتصال بين السكان ولم تحل صعوبة دون اختلاط العرب بالبربر الذين يجمعهم الاتفاق في البيئة التي ينتمي اليها كل منهم والتي يشبع فيها طابع صحراوي أدى إلى نتائج متقاربة من حيث الاجتماع والعمران ونتج عن ذلك عادات وتقاليد متشابهة.

لقد زحزحت القيروان بالسكان من مطلع القرن الثاني الهجري من مختلف الأمصار الاسلامية، فأصبحت بيئتها الاجتماعية تتألف من عناصر عربية وأفارقه وبربر وروم وكما كانت الخلافة تبعث الى جانب الولاة بعض الأعوان الذين يسند الولاة إليهم إدارة مرافق الدولة وصمت الهيئة الاجتماعية في القيروان بعضا ذوي الشأن من رؤساء القبائل العربية الذين قصدوا افريقية

1- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 201.

2- ابن العذارى، المصدر السابق، ص 38.

ليكونوا بمنأى عن الخلافة أو لغير ذلك من الدواعي والمرغبات ومن ذلك يتبين لنا أن القيروان كانت تضم بطونا مختلفة وقد انقسم هذا الخليط من سكان حسب الاعمال التي يقومون بها[1].

في المجتمع القيرواني تصنف إلى طبقات عدة أهمها:

أ- **طبقة الحكام والخواص:** من الولاة وكبار رجال الدولة وقادة الجيش والحرس الخاص الذي اتخذ الأمراء كذلك أنصار النظام السياسي الحاكم المتمثل في التميميين أيام الأغالبة وفي قبيلة كتامة ايام الفاطميين[2].

ب- طبقة التجار: التي كان لها دور كبير في الحياة الاجتماعية في القيروان لاسيما بعد أن تسع التبادل التجاري وتجاوز النطاق المحلي إلى النطاق العالمي وازدهرت الحياة الاقتصادية وصار لتجار علاقات تجارية مع صقلية والأندلس ومصر والروم مما مر ذكره في الحياة الاقتصادية وابح في القيروان جاليات من تلك البلاد تصطلح بالأعباء التجارية[3].

1- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 169.

2- لابن العذارى، المصدر السابق، ص 170.

3- المصدر نفسه، ص 112.

ج- طبقة المثقفين: خاصة الفقهاء الذين كانوا لهم نفوذ قوي في حياة الشعب والحكام وتأثير قوي في الحياة السياسية وتوجيه الحياة الاجتماعية والبث في الكثير من المشاكل التي كانت تحدث في القيروان ولم يكن المثقفون من ذوي الثراء وإنما كانوا من الناحية الاقتصادية متوسطين الحال[1].

د- طبقة الشعبية: وتتألف من الجنود النظاميين أو المتطوعين المحترفين الذين كانوا يقبلون على الجندية عند استدعاء الامير لهم للقيام بمهمة حربية.

ومن أصحاب الحرف اليدوية والصناعية الذين كانوا يعملون في الصناعات المختلفة الخشبية والزجاجية والمعدنية وغيرها من الصناعات التي مر ذكرها في الحياة الاقتصادية وعمل الأبناء الذين شاركوا في القيام في بالمشروعات الضخمة الانشائية من موانئ وقصور وسدود وقناطر وحصون ومساجد وغيرها[2].

ومنهم الفلاحون الذين يعملون في الأرض بالكراء أو أصحاب الأراضي ذات المساحات الصغيرة الذين يعملون فيها بأيديهم والعبيد الذين كانوا يعملون بالزراعة لأسيادهم ولاشك أن هذه الطبقة كانت قليلة الدخل كثيرة العمل من أجل الحصول على مقومات حياتها ولكنها كانت ذات أثر كبير في الحياة الاجتماعية[3].

الحياة الاجتماعية الناتجة عن الرقى الاقتصادي ومع تعدد طبقات المجتمع في القيروان إلا أنه كان لها رأي عام جماعي كثيرا ما حمل الحكام على مراعاته وعلى أن يكون له أثر في تصرفاتهم كثير من الحكام عند توليه السلطة يعد الرغبة بسلوك سياسي خاصة يوضحها لهم ويبين

1- محمد محمد زيتون، المراجع السابق، ص 170.

2- حسن حسيني عبد الوهاب، بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن الرشيق، مكتبة المنار، ط 2، تونس، 1970، ص 16.

3- الجنحاني الحبيب، القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الاسلامية، الدار التونسية، تونس، 1968، ص ص 146 – 149.

فيها الخطوط العريضة المملوءة بالاستقامة والعدالة أو يقوم بتوزيع الأموال أو بإعفاء الفلاحين من الضرائب كما حدث في السنة التي سميت بسنة العدل.

وقد تدخل اهل القيروان في توليه بعض الولاة وفي حمل بعض الأمراء على القيام بشؤن الدولة كما حدث في تعيين ابراهيم بن أحمد بن الأغلب سنة 261هـ- 874م[1]. وكان ظهور هذا الرأي الجماعي في القيروان ناشئا عن تعاون المتميز بين طبقات السكان[2].

2/ المظاهر الاجتماعية في القيروان: يمكن الاشارة فيما يأتي:

ا- في سلوك الاجتماعي العام :

حيث كان يشبع العدل وترتفع راياته ويحارب الظلم ويعاقب مرتكبوه وخاصة في المعاملات فكان قاضي القيروان يعين المحتسب الذي كان يقوم بمحاربة المنكرات ويحمل الناس على احترام المصلحة العامة كمتع المضايقة في الطرقات والرفق بالحيوان وحمل اصحاب البيوت المتداعية على هذه مصار المقاومة الغش والخداع في البيع والشراء[3].

1- محمد محمد زيتون، المراجع السابق، ص 172.

2- الطالبي، المرجع السابق، ص 602.

3- بوتشيش ابراهيم القادري، مباحث في التاريخ الاقتصادية والاجتماعي للمغرب والأندلس، دار الطليعة، بيروت، 1998، ص 190.

تحلي بالأمانة المحتسبين وعدم اخذهم للرشوة وعند توليه الاغلب بن ابراهيم بن الأغلب حاول تغيير الظلم الذي احدثه العمال ومنعهم من الاستيلاء على الأموال الرعية وقطع النبيذ من القيروان مما جعل الناس يحمدون له ذلك[1].

ب) وضع المرأة في القيروان:

وكان للمرأة وضع مشرق في القيروان يدل عليه موقعها حين هاجم الخوارج القيروان أيام حنظلة بن صفوان ومشاركة المرأة في الدفاع عن المدينة وحملها السلاح جنبا إلى جنب لحراسة المدينة والدفاع عنها حين هجوم جيش المسلمين على الأعداء بل كان للنساء تأثير قوي في الروح المعنوية للرجال وحملهم على مواصلة القتال وعدم القرار[2].

عند مهاجمة الخوارج للقيروان ويعبر عن ذلك الرقيق القيرواني:" عقد الألوية وأخذت معهن السلاح وعز من على القتال واستبسلت للموت مع الرجال وعلقت لأزواجهن لئن انهزم أحد منكم إلينا موليا عن العدو ولتقتلنه"[3] وعلمن ما يريدهن الصفرية من السبي والعبودية ووطن النفس على الموت فهش الناس للقتال واشتدت نصرتهم[4].

وقد خصص للمرأة في القيروان ومخاص للقضاء حيث يفصل القاضي فيه للنساء وهو يوم الخميس فيجلس القاضي فيه للنساء بعد أن يبعد الكتاب والشهود والحجاب، وكانت المرأة القيروانية تقوم بشؤون بيتها المنزلية فإذا ما انتهت منها قضت اوقات الفراغ في بيتها في القيام بالأعمال

1- حسن حسيني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 27.

2- المرجع نفسه، ص 26.

3- محمد محمد زيتون، المراجع السابق، ص ص 173 -174.

4- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 120.

اليدوية كغزل الصوف والقطن والتطريز بالحرير ونسج البسط أو حياكة ثياب الأسرة وربما يساعدها في شؤون المنزل بعض الخدم من الرقيق وذلك بالنسبة للأسر الغنية[1].

وهي تتمتع بشخصية قوية بالحرية خاصة في شؤون الزواج ويدل على حرية المرأة وقوة شخصيتها ما كانت تشترط عند العقد في الزواج من أن الزوج إذا تسرى عليها بغيرها[2].

عند عقد في الزواج من ان الزوج اذا تسرى عليها بغيرها يكون أمرها بيدها حيث تطلق نفسها إن شاءت وتلك عادة معمول بها في القيروان منذ القرن الثاني الهجري وتسمى في أحكام النكاح بالطريقة القيروانية ونتج عن ذلك فلة رغبة أهل القيروان في تعدد الزوجات ومن هذا الوضع الخاص للمرأة يظهر لنا تماسك الاسرة وقوة بنياتها ومدى تأثير المرأة في المجتمع القيرواني[3].

ج) اللباس والطعام:

لباس الرجل كان يتألف من قميص وسراويل وجبة الصوف يتحزم عليها بازار ملون ويضع على راسه عمامة وتسمى أيضا لفاقة يوضع عليها الدوخلة التي تنزل على القف ويلبس في قدميه النعال في الشتاء والخفاق في الصيف ويلبس الأغنياء والعلماء الاسماط والشروق والفرو السمور ويلبسون القلنسوة عوض عن العمامة وتكون صوفا أو قطنا ويختلف شكلها من قصيرة الى طويلة[4].

1- المنجي الكعبي، القيروان، مطبعة وراق، دار الشباب، تونس، ط 2، 2009، ص 130.

2- نفسه، ص 137 .

3- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 174.

4- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 175.

أما المرأة فكانت تلبس رداء قطن أو حرير حسب رتبتها وتلبس فوقه غلاله تشدها بمئزر كما تتزين بالحلي المختلفة من أساور مرصعة وخلاخيل منقوشة ومصفرات إلى غير ذلك فإذا ما خرجت لبست الرداء وضربت على وجهها المعجز وتلبس برجليها خفا لطيفا وللنساء في كل زمان ومكان تنوع في لباسهن حسب ما يجد من أزياء[1].

وإن كان المؤرخين قد حفظوا لنا أزياء مختلفة للرجال فلا شك أن القيروان كانت تزخم بأزياء أكثر بالنسبة للنساء، وقد شاهدت في متحف باردو بتونس العاصمة ثوبا للمرأة يسمى "قمجة" يلبس في اليوم السابع من حفلة الزفاف[2].

الطعام: عند أقام العرب في القيروان كانوا يتناولون طعامهم المعروف بالثريدة والعصيدة والبسيس ثم اقتبسوا من البربر المقيمين معهم الكسكسي وهو الطعام الأساسي في أكل البربر وبازدهار الحضارة في القيروان وتعمق التجارب بين سكانها تنوعت الأطعمة وتحددت فصاروا يطبخون من المرق منها الكوكبية ويدخل فيها السلف والحمص واللحم "النسابورية" و"الفسستقية" وهما يصنعان باللحم والبقول و" الكنافة"[3].

ويتبل اللحم فيها بليفية مخصوصة وتنضج على البخار ثم "الشرائح" وهو نوع من اللحم يطبخ شرائح ويؤكل بالخبز الرقاق[4].

ويبدو أنهم كانوا يتناولون كثيرا من اللحم في البكري ويذكر أنه في بعض أيام عاشوراء ذبح في القيروان تسعمائة رأس من البقر غير ما ذبح من أنواع الحيوانات الأخرى[1].

1- حسن حسيني، المرجع السابق ، ص 24.
2- القاضي عياض، المصدر السابق، ص 593.
3- حسن حسيني، المرجع السابق، ص 25.
4- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 176.

وبجانب هذه الأنواع الرئيسية في الطعام كان يوجد بجوارها أصناف مختلفة من الحلو "كالإسفنج" وكان يباع في الأسواق و"الزلابية" و"الكعك" و"العسانية" وهي نوع من الحلوى يصنع من سمن وعسل وزعفران و"السمسمية" و"الملبس" وأنواع المربات والبسكوت الملبس بالسكر والمزخرف بالترقيم والتخريم كما كان يربي أهل القيروان السمسم بالياسمين وبالورود والبنفسج[2].

د) المواكب والهبات والثورة والترف:

المواكب: وصفا للموكب الذي استقبلت به القيروان الفضل ابن روح بن حاتم سنة سبع وسبعين ومائة عندما قدم والبا عليها من قبل الرشيد وكيف أقيمت السرادقات وزينت الشوارع وعلقت فيها الإعلانات وهو يوضح لنا مظهر المواكب في القيروان فقد نصبت له القباب من مسجد أم الأمير إلى دار الأمارة في رحبة التمر فزعموا أن قسطاس النصراني نصب له قرية ريحان في طريقه وعليها طومار قد كتب فيه بخط غليظ " أنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر"[3].

فنظر إليه الفضل فقال من فعل هذا قالوا : فسطاس قال أحسن والله النصراني فلما انتهى إلى المسجد أبي نظر الى زير زجاج معلق وفيه ماء وفي الماء حيتان تعوم فقال: من فعل هذا فقالوا قسطاس فقال: أحسن والله[4].

1- البكري، المصدر السابق، ص 26.

2- المنجي الكعبي، المرجع السابق، ص 130.

3- الرفيق القيرواني، المصدر السابق، ص 184.

4- محمد زيتون محمد، المرجع السابق، ص ص177 – 178.

الهبات والثروة والترف: رغم عدم كثرة الأموال نوعا ما في فترة حكم الولاة إلا أن المؤرخين روالنا بعض الهبات والاموال التي كانت تدفع لمن يقصد الحكام والأموال التي كانت تباح لسكان القيروان[1].

فهذا يزيد بن حاتم يقصده ربيعة بن ثابت الرقي في القيروان طالبا منه مساعدته على سدادي ذريات وجبت على قومه فأعطاه عشر ديات ووصله وأحسن اليه إحسانا عظيما، ويعطي أبا اليعاقيب خمسمائة دينار لأنه يحفظ قصيدة قبلت في مدحه يبيح مزارعه لأهل القيروان ليأكلوا ويتنزهوا فيها ويأمر بذبح قطيع الغنم التي يملكها ابنه لتكون مباحة للناس[2].

كما يذكر ابن عذراء أن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب عندما تولى الحكم أمن الناس وأحسن إليهم والي الجند وأجرى على العمال أرزاقا واسعة وصلات جزلة وأن أحمد بن محمد بن الأغلب كان يركب في ليالي شعبان ورمضان وبين يديه الشمع فيخرج مع القصر القديم ويمشي حتى يدخل من[5] باب أبي الربيع ومعه دواب بالدراهم فكان يعطي الضعفاء والمساكين حتى ينتهي إلى المسجد الجامع بالقيروان فيخرج الناس إليه ويدعون له[3].

وفي أيام الفاطميين خلال فترة حكم المعز لدين الله واتساع سلطانه وازدهار الحياة الاقتصادية ونمو الثروة كان العطاء بكرم وسخاء والاتفاق والبذخ[4].

1- حسن حسيني، المرجع السابق، ص 8.
2- البكري، المصدر السابق، ص 26.

3- منجي الكعبي، المرجع السابق، ص 132.
4- ابن الابار، المصدر السابق، ص 186.

كما كانت قصور المغرية في الروعة والفخامة حتى أن سفير الروم بهت حين زاره في المنصورية ونطق حين راه جالس فوق عرشه بقوله: " دخلت عليك فلايتك على سريرك فظننتك خالقا" وذلك يصور مقدار الثراء الواسع والدخل الكبير الذي كان يصل للدولة فيكون له تأثير العميق في الحياة الاجتماعية[1].

ن) الصحة والنظافة:

من مظاهر الاجتماعية في القيروان العناية بالشؤون الصحية وبالنظافة فكان هناك عدد من الأطباء كما انشئت حصص أيام الأغالبة للمرضى والعجزة وكان قسم منه خاص بالمجرومين ويعرف بدار الجزماء وقسم آخر كان لأمراض العيون حيث كان يعالجهم أطباء ماهرون في مختلف أنواع الأمراض، وكان هناك عناية ملحوظة بالنظافة يدل عليها[2].

كثيرة مشاريع المياه بالقيروان والحمامات العامة المنتشرة هنا وهناك وقد وجد الصابون بالقيروان منذ العهد الفاطمي وهو قوام الحضارة الصحية ودليل الرقي السلوكي في النظافة البدن والثوب والمنزل والماعون حيث تقاس حضارة المجتمع بمدى استهلاكه من المياه والصابون كما كانت شوارع القيروان تتسم بالاتساع والجمال وكان تنظيم أماكن الأسواق والصناعات والتجارات مما ساعد على نظافة المدينة وأدى إلى التقدم الصحي للسكان[3].

ر) مظاهر التسلية والملاهي:

1- حسن حسيني، المرجع السابق، ص 23.

2- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص ص 180 – 181.

5- متجي الكعبي ، المرجع السابق ص 132

3-محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 179.

مع مرور الزمن وتحول القيروان إلى مدينة فيها العمال الكادحون في الزراعة والصناعة وفيها التجارة والاداريون والمثقفون والأثرياء وجد في المدينة وسائل للتسلية في أيام تعطل فيها الأعمال أو في أيام الأفراح والأعياد ومع ذلك كانت القيروان حريصة على أن تكون وسائل التسلية فيها مما يبيحه الشرع الحنيف فكانت هناك ألعاب الفروسية مثل لعبة الصولجان أو لعبة الكرة على الخيول ثم المبارزة على الخيول بين رجلين وتولد عن ذلك الصيد على الخيول بالبازي أو السلوقي[1].

وفي قصور الأثرياء كان هناك حياة خاصة حيث يوجد الغلمان والجواري من موالي البيزنطيين وأسرى الحرب من صقلية وجواري جلبهن التجار من المشرق ومن بلدان افريقية المختلفة حيث كان لذلك بعض الأثر في نشر اللهوي الجوت في تلك القصور[2].

ثالثا: الدور العمراني للقيروان

مدينة القيروان بناها عقبة بن نافع سنة 50 هـ- 670م على بعد ستة ميلا وثلاثين ميلا (حوالي 54 كلم) من البحر المتوسط ونحو مائة ميل (حوالي 150 كلم) من تنمس وسور المدينة بسور بناه كله بالأجر، عرفت المدينة تطورا عمرانيا سريعا بعد مدة قصيرة من تأسيسها[1].

1- الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص 150.

2- ابن الابار، المصدر السابق، ص 185.

فلم يمر نصف قرن على نشأتها حتى أصحبت أعظم مدينة بالمغرب، وأم القرى، واعتبرها الزهري من قواعد الاسلام الأربعة وهي بغداد[2]، القاهرة وقرطبة بفضل ازدهارها الثقافي والعلمي، كما يقول عنها الجمبري: "والقيروان دار الملك، ورأت من الممالك والملوك والدول والفقهاء والعلماء والصالحين ما لم يكن مثله في قطر من الأرض"[3].

ولما أظلها القرن الثاني الهجري تطورت القيروان وتبحر عمرانها على عهد أمراء بني الأغلب، المسلك الرئيس بين الأندلس والمغربين الأوسط والأقصى من جهة، والمشرق الاسلامي وموانئ المدن التجارية الواقعة على شواطئ افريقية، من جهة ثانية ولقد ساعد مركزها السياسي والديني في التطور العمراني لتصبح مركزا حساسا ونشطا في الدور العمراني المغربي خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة وتطور الاقتصادي أيضا[4].

وفي هذا العدد يقول الزهري: " القيروان مدينة عظيمة جمعت بين طيب الهواء وعذوبة الماء وجميع المحاسن "حتى أضحت أجل مدينة بأرض المغرب، وشد الناس إليها الرحال من كل أفق[5].

لكل العامل الأساسي الذي استفادت منه المدينة في حياتها العمرانية منذ مطلع القرن الثالث هو التحول الجذري الذي عرفته الحياة الاقتصادية المغربية نتيجة تطور التجارة الصحراوية وتدفق البضاعتين الثمينتين الذهب والرفيق من بلاد السودان إلى مراكز التجارة فبعد أن تخلت مصر عن

1- الجنحاني، المرجع السابق، ص 49.

2- ابن العذارى، المصدر السابق، ص 21.

3- هشام جعيط، تاسيس الغرب الاسلامي القرن الاول والثاني الهجري / السابع والثامن الميلادي، دار الطلبعة للطباعة والنشر، ط1، 2004، بيروت، لبنان، ص 161.

4- أبو العرب التميمي، طبقات علماء افريقية، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 56.

5- الزهري (محمدين أبو بكر)، كتاب الجغرافيا اعتنى تح: محمد حاج صادق، المكتبة الثقافية الدينية، بور سعيد، ص 110

الطريق الذي يربطها بغابة أصبح من الضروري أن تمر القوافل بالقيروان ثم تهيرت إلى غاية سجل ماسة[1].

آخر محطة مغربية نحو أرض السودان وبتطور الحركة العمرانية بالقيروان أصبحت أهم مدينة في المغرب لتتحول بعد ذلك إلى مركز السلطان وأحد الأركان عاصمة سياسية لثلاث دول في المغرب الاسلامي الأغلبية الفاطمية الصنهاجية.

وقد عرفت القيروان حركة تبادل تجاري في أسواقها جمعت بين التجارة الصحراوية، وأن الاشارات المشتتة من هناك في كتب المصادر إلى أحياء القيروان ودروبها وفنادقها ومساجدها[2].

تعطي فكرة واضحة عن أهمية التقدم العمراني الذي عرفته المدينة فيذكر ابن الأثير مصادر مساحة القيروان بعد إتمام بنائها " دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع"، وإذا كان مقدار الباع يتراوح ما بين متر ومترين، فتكون بذلك مساحة المدينة ما بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف و600 متر أي أكثر من أربعة كلم مربع وقد بلع طول الشارع التجاري الرئيس بالقيروان[3]. وهو الذي يعرف بسماط سوق القيروان، وهو عبارة عن شارع كبير مصطفة حوانتية على اليمين وعلى الشمال والذي كان يمتد من باب تونس شمالا إلى باب الربيع جنوبا[4]. بلغ طوله ميلين غير ثلاث أي ما يزيد عن ثلاثة كلم وتصف هذه المساحة تجعل القيروان من السعة بالقدر الكبير ويصفها الجنحاني بأن شوارعها الرئيسية تمتاز بالاتساع إذا ما قورنا بالعواصم الاسلامية[5]. كما شيدت

1- الدباغ، المصدر السابق، ص 160.

2- القاضي عياض، المصدر السابق، ص 45.

3- حسن الحسيني، المراجع السابق، ص 56.

4- بن موسى جميلة، تجارة الذهب بين المغرب الاسلامي والسودان الغربي من القرن الثالث الى الخامس الهجري، بحث لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة الجزائر، كلية علوم الانسانية، قسم التاريخ، 2000-2001، ص 185.

5- الجنحاني، المرجع السابق، ص 53.

بالقيروان بنايات عظيمة أولها المعالم الدينية كالمساجد والجوامع والمصليات، فكان بها زهاء ثلاثمائة بيت يعبد فيها الله اشهرها على ترتيب أهميتها[1].

الجامع الأعظم المنسوب إلى الصحابي عقبة بن نافع (الملحق2)، وكان قائما على أعمدة عجيبة من المرمر، اثنان منها قرب المحراب[2] (الملحق 3)، ارتفاعها لا يتصور العقل وكانت لع عشرة أبواب وطوله مائة وعشرون دراعا، وعرضه مائة وخمسون ذراعا[3]، وعدد ما في الجامع من الأعمدة أربع مائة وأربعة عشر عمودا وبلغت النفقة في بنائه ستة وثمانين ألف مثقال، إلى أم لفظه (مسجد) تدل على أماكن العبادة الصغيرة لكن الحقيقية أنها كانت عظيمة تتخذ في غالب الأوقات كمدارس، تدرس فيها شيء أنواع العلوم الدينية وتسميتها بالمساجد هو تعريف قديم كان يطلق على الجامع والمسجد على حد سواء المسجد الأقصى هذا المسجد القيروان لعقبة كان له تأشير في بناء طريقة بناءه أيضا في مدينة فاسر بمغرب الأقصى.

وإلى جانب المساجد وأماكن العيادة فقد حظيت القيروان لمدينة عاصمة للإقليم بالحمامات والمستشفيات والمتنزهات وكل المرافق ذات النفع العام وما من شأنه تحسين حالة الشعب المادية شان كل أمة تمكنت منها الحضارة، حيث بلغ الحمامات أربعة وثمانين حماما عموميا، إلى جانب الحمامات الخاصة وهذا ذليل على كبر مساحة المدينة واتساعها[4]، كما كان فيها مستشفيات لمعالجة المرضى، وقد أقيم خارجها مستشفى عظيم يسمى (الدمنة) كان يتكون من عدة أقسام.

1- البكري، المصدر السابق، ص 26.

2- حسن الوزان، وصفا افريقية، تر عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ص 88.

3- حسن حسيني، المرجع السابق، ص 20.

4- الزهري، المصدر السابق، ص 222.

وقد عرفت القيروان توسعا كبيرا في عهد الأغالبة (184-297هـ- 800م- 909م) ثم الفاطميين (297هـ-359هـ - 909م- 969م) حيث أقيمت حولها وقريبا منها ثلاث مدن كانت مقرا للحكام وأعوانهم وقد ازدهرت هذه المدن ازدهارا عظيما، كما أن بعضها قد نقلت اليه أسواق القيروان[1].

ففي سنة (184- 185هـ - 800- 801م) بنيت في الجهة الجنوبية الشرقية العباسية أو القصر القديم على يد ابراهيم بن الأغلب، وهي عبارة عن مدينة جديدة كبيرة كان لها خمسة أبواب، وجهزت بفنادق وحمامات وأسواق وشيد فيها مسجد وملعب الرياضة، الخيول[2].

وفي السنة (269-264هـ/876-877م) شيد ابراهيم بن أحمد بن الأغلب مدينة رقادة[3].

في الجنوب الغربي من القيروان التي يبلغ قطرها أكثر من عشرة كلم، دليل على اتساع المدينة وكثرة سكانها وفي سنة (337-338هـ/948-949م) أنشأ الفاطميين مدينة صبرة المنصورية شرق القيروان، وأصبحت دار ملكهم كانت شديدة العمارة وعرض سورها اثنا عشر ذارعا[4].

توجد به خمسة أبواب وكان دخل كل باب منها 26 ألف درهم من الرسوم والمكوس في اليوم، ثم إنشاء هذه المدن نتيجة لتضخم العاصمة واتساعها وكثرة سكانها[5].

1- حسن حسني، المرجع السابق، ص 32.

2- البكري، المصدر السابق، ص 72.

3- بن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح وتعليق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار العرب الاسلامي، بيروت، 1986م، ص ص 32 - 35.

4- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 56.

5- زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج 3، مكتبة نشأة المعارف، الاسكندرية، 1990، ص 374.

وكان فيها ايام عمارتها ثلاثمائة حمام مما يدل على تطور العمران وأحسن من وصف القيروان وما وصلت إليه من ازدهار أو تطور عمراني وغني مادي ونمو سكاني الادريسي، إذ يقول عنها: "أم الامصار وقاعدة اقطار وكانت أعظم مدن المغرب وأكثرها جباية وانفقتها أموالا أوسعها أحوالا وأربحها تجارة وأكثرها جبابة وأنفقها سلعة وأنماها ربحا"، وهكذا أصبحت القيروان تمثل بالنسبة لبقية المغرب نموذج المدينة الاسلامية في ازدهارها وتطورها العمراني السريع[1].

لقد اشتهرت مدينة القيروان بشكل كبير بالازدهار العمراني في عهد الاغالبة فلقد تطور فن العمارة والفكر البنائي والتخطيطي لها بشكل غير مسبوق وذلك راجعا إلى قيام الأغالبة بأنفاق ما يحصلون عليه من غنائم في أثناء حروبهم على أعمار مدينتهم والدليل على ذلك ما قاموا بإنشائه من مظاهر معمارية فلريدة بالقيروان مثل القصر القديم وهو القصر الموجود بالمدينة منذ فترة حكم إبراهيم بن الأغلب[2].

علاوة على الجامع الكبير والصهاريج الموجودة به إلى جانب مسجد سوسة بالإضافة إلى بناء الرباط والموجود بالتحديد في مدينة سوسة بالقرب من القيروان إضافة إلى قيامهم ببناء محراب مسجد عقبة بن نافع (ملحق 4) باستعمال الرخام الأبيض المنقوش بالحديد في خلال عهد ابراهيم بن الأغلب والذي تمت فيه زيادة طول بلاطات المسجد وبناء القبة المشهورة به باسم باب البهو[3].

1- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 86.

2- حسن حسيني، المرجع السابق , ص 63.

3- البكري، المصدر السابق، ص 42.

هذا إضافة إلى عددا الفسقيات والتي تتمثل على شكل أحواض مائية يستعمل مياهها في عملية الري الزراعي والشرب والتي تعد سابقة في هذا المجال على امتداد القرون والعصور الوسطى بالتحديد[1].

تطورت العمارة في القيروان من مبان بسيطة استعمل فيها الطوب إلى منشئات تعتبر من روائع الفن المعماري الاسلامي كجامع عقبة وجامع الثلاثة بيبان وفسقيه الأغالبة (ملحق 5).

ورغم الحروب المتواصلة مع الحركات، فإن ازدهار المدينة تواصل بشكل بارز خلال القرن الثاني للهجرة[2] خاصة في عهد المهالية، وبلغت أوج تطورها في عهد الأغالبة، حيث بدأت بمؤسستين ضرورتين لكل مدينة: جامع عقبة الذي يمثل السلطة الروحية، ودار الأمارة التي تمثل السلطة الروحية، ودار الأمارة التي تمثل السلطة السياسية، ودور للسكان ومساجد قبلية، ثم أضيفت مشات مدينة أخرى كالحمامات والفنادق وعسكرية كالأسوار والحصون، ومنشئات دينية غير اسلامية، ثم ظهرت الأربطة والأسواق والقصور.

ساعدت التجارة على اشعاع حضارة القيروان شرقا وغربا، ويتحلى هذا التأثير في المنارات والقباب والعقود والزخرف، كما تجاوز تأثير القيروان الناحية المعمارية ليشمل الناحية الفكرية، فكان أغلب طلبة القاضي سحنون من الأندلسيين مثل يحي بن عمر ومحمد بن خيرون المعاقري وغيرهم.

1- الجيحاني، المرجع السابق، ص 87.

2- أبو العرب، طبقات، المصدر السابق، ص 63.

كما أثرت في العمارة الاسلامية في صقلية والأندلس والمغرب، فقد بنت جامع القرويين بفاس (ملحق 6) سيدة قروية ورثت ثروة عن أبيها، ومثل هذا الجامع مع الزيتونة والأزهر أقدم الجامعات الاسلامية[1].

1- فطيمة مظهري، المظاهر الحضارية في القيروان وتيهرت إبان القرنين الثاني والثالث الهجري، رسالة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، كلية العلوم الانسانية، قسم التاريخ، سنة 2015، ص 771-772.

خاتـــــمة

لعبت القيروان دور حضاري كان له تأثيرا كبيرا في بلاد المغرب الاسلامي حيث تم تحويل من أرض مسيحية لغتها اللاتينية إلى أرض لغتها العربية ودينها الاسلام.

فكلمة القيروان تعني مكان السلاح ومحط الجيش أو استراحة القافلة وموضوع اجتماع الناس في الحرب ومنها انطلقت الفتوحات إلى المغرب ومن ثم إلى الأندلس واستطاعت القيروان أن تفرز طوال أربعة قرون متتالية مدرسة متعددة الخصائص حيث كانت سوقا للمعرفة بنهل من مكانها العدد من طلاب العلم والمعرفة وأصبحت ومنذ أواخر القرن الثالث الهجري بيتا للحكمة تحاكي مثيلتها مدينة بغداد في المشرق العربي وفي القيمة العلمية والعسكرية والسياسية والاقتصادية والعمرانية والاجتماعية كان لها أثر حضاري كبير في بلاد المغرب الاسلامي حيث استخلص بعض النقاط لكل دور الحضاري كبير في بلاد المغرب لمدينة القيروان.

يمكن استخلاص الفصل الثاني لكل دور حضاري وآثار كل دور لتصبح فيما بعد مكان استراحة جيش إلى مدينة كبيرة ذات شأن حضاري في بلاد المغرب الاسلامي.

– أصبحت القيروان منذ عودة عقبة بن نافع الفهري إليها قاعدة الانتشار العربي الاسلامي المنظم ببلاد المغرب وغيرها فبعد اتخاذها قاعدة عسكرية أصبحت عمليات الانتشار ذات طابع ثابت مستقر بعد أن كانت مجرد غازات محدودة.

– لقد تم فتح افريقية ونشر الاسلام فيها بشكل منظم ودقيق انطلاقا من القيروان.

– وازداد الاسلام انتشار على يد حسان بن النعمان الذي تمكن سنة 82 م منذ تحرير شمالي افريقية من البيزنطيين حيث ركز على البربر وبذلك انتشر الاسلام في معظم أنحاء افريقية وقد يكون هذا أكبر آثار في دور العسكري لمدينة القيروان.

– دور السياسي حيث كان للأحكام آثار في نشر الاسلام حيث في عهد بني الأمية وبني عباس شهدت القيروان تطور في كل مجلات.

– وفي عهد دولة الأغالبة 184هـ– 800م شهدت القيروان عصرها الذهبي إذا أصبحت عاصمة دولة الأغالبة فازدهرت أسواقها وكثرت مبانيها وأصبحت منطلقا لفتح صقلية وسردينية ومالطة، واستمرت حتى مجيء الفاطميون سنة 296هـ– 908م، وهم الذين أسسوا مدينة المهدية على شاطئ البحر وجعلوها عاصمة لهم لقد انتشرت اللغة العربية في بلاد المغرب نتيجة لهجرات القبائل العربية لها.

– أصحبت لغة التدوين السياسة فضلا عن كونها لغة الدين والأدب والثقافة.

– وفي الدور الاقتصادي شاهدت مدينة القيروان تقدم الاقتصادي في الزراعة والصناعة والتجارة على القيام بالمشروعات الكثيرة التي كانت تقوم بها السلطة الحاكمة.

– السلطة الحاكمة في القيروان من بناء للمدن والحصون والأسوار وإنفاق على الأسطول والجيش والفتوح غير ذلك من أوجه الاتفاق في المشاريع الداخلية في الصحة والصناعة وبناء المساجد والمستشفيات وغيرها وقد مكن هذا الازدهار الاقتصادي القيروان من التغلب على بعض الأحيان وضمن لها وضعا اقتصاديا ممتازا.

أما بالنسبة للفصل كانت مدينة عربية اسلامية تميزت بكل خصوصيات المدن الاسلامية وفيها يخص الحياة العلمية أو الدور العلمي حيث شاهدت مدينة القيروان عصر الثقافي علمي كبير من حيث العلوم ومذاهب الفقهية كان لها تأثيرا كبيرا من طرف العديد من علماء القيروان وغيرهم نلاحظ أن هذه الفترة كانت بمثابة بناء الذات لأن القيروان لم تتجاوز فيها مرحلة التقليد.

– لم تتجاوز فيها مرحلة التقليد حتى في الأصناف التي برزت فيها لكن كان هناك دور علمي حياة ثقافية كبيرة في المغرب الاسلامي ارتبط المذهب المالكي بالقيروان عفويا، لم يأت الوقت بعد ليفرض ذاته فالفترة كانت مليئة بالصراعات بين المذاهب المختلفة والتي حسم فيها الأمر ظرفيا لصالح المذهب الشيعي.

وفي الدولة الأغلبية والتي اجتمع فيها مذهبان سنيان المذهب الحنفي مذهب الحكام والمذهب المالكي مذهب السكان وهو السائد في تلك المنطقة فقد قرب الحكام اليهم معتنقي المذاهب الأخرى ومنهم علماء الأباضية نظرا للخلاف بين الحكام الأغالبة وبين فقهاء البلد المالكيين وعاش بكل حرية بأفريقية حيث الفقهاء تدريس تعالم لمذهب مثل إمام سحنون قضاء افريقية (234–240هـ–) يمكن قول أنه كان لمدينة القيروان تأثير كبير في نشر مختلف العلوم والمذاهب وبخاصة المذاهب الفقهية وقامت بدور علمي حضاري واسع في أنحاء العالم الاسلامي بخصوص المغرب الاسلامي وتأثيرا كبيرا في المغربيين الأوسط والأقصى، وخاصة في مجال بلورة التوجه المذهب فقد عرفت هذه المدينة في وقت مبكر لعديد من المذاهب الفقهية كالمالكي والحنفي والشافعي، غير أن المذهب المالكي أصبح هو السائد منذ منصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

وأصبحت القيروان هي مركز انتشار هذا المذهب في أنحاء بلاد المغرب بإسهام علمائها وعلى رأسهم سحنون الذي سبقت الإشارة إليه، فقد كثر طلبة سحنون من المغرب تمكن سحنون بفضل قوة شخصية وروعه وزهده وقيامه بمهمة التدريس وتوليه مهنة القضاء، وكذلك بفضل مدونته من نشر المذهب المالكي.

وبالنسبة للدور الاجتماعي أو الحياة الاجتماعية في القيروان بدأت منذ تأسيسها وكانت تتسم بالروح العسكرية في بداية أمرها ومع مطلع القرن الثاني الهجري زخرت القيروان بالسكان من مختلف الأمصار الاسلامية وصارت بيئتها الاجتماعية تتألف من عرب وأفارقه وبربر روم وكانت طبقات المجتمع حسب الأعمال التي يقومون بها تتكون من طبقة الحكام وكبار رجال الدولة وطبقة التجار وطبقة المثقفين والطبقة الشعبية من الجنود أصحاب الحرف اليدوية ومنهم الفلاحون والأرقاء.

– كان للمرأة في القيروان حيث شاركت الرجال في الدفاع عن المدينة وحمل السلاح معه جنبا إلى جنب مع رعايتها لشؤون بينها، وقامت ببعض الأعمال اليدوية داخل المنزل وكانت تتمتع بشخصية قوية وبالحرية الكاملة مما أدى إلى قلة تعدد الزوجات في القيروان وأدى هذا الوضع المشرف للمرأة إلى تماسك الأسرة وقوة بنياتها وشدة تأثيرها في المجتمع القيرواني.

– في الهيات والثروة والترف العطاء بسخاء الذي كان يعطي للقاصدين أو لرعية أو يفرق عليهم في المناسبات كما حدثت عند ختان أبناء المعز.

– في الصحة والنظافة حيث اهتم بالنظافة بالشؤون الصحية حيث مثر الأطباء وأقيمت المستشفيات، كما وجدت الحمامات العامة وكانت الشوارع واسعة الأسواق منظمة مما ساعد على نظافة المدينة وأدى إلى التقدم الصحي في مدينة القيروان.

– في الدور العمراني نستخلص أن مدينة القيروان في شكل معسكر للجند ثم انتقل سكان إليها من بضعة آلاف من الجنود (بطون لقبائل يمنية في معظمهم) إلى عشرات آلاف من مختلف الأجناس من عرب وبربر وروم وسودان وكذلك فرس.

– تطورت العمارة في القيروان من مبان بسيطة استعمل فيها الطوب إلى منشآت تعتبر من روائع الفن المعماري الاسلامي.

– ورغم الحروب المتواصلة مع الحركات الخارجية فإن ازدهار المدينة كجامع عقبة وجامع الثلاثة بيبان وفسقيه الأغالبة.

تواصل بشكل بارز خلال القرن الثاني للهجري خاصة في العهد المالية، وبلغت أوج تطورها في عهد الأغالبة حيث مؤسستين ضروريتين لكل مدينة جامع عقبة يمثل السلطة الروحية ودار الأمارة تمثل السلطة السياسية ثم أضيفت منشآت مدينة أخرى كالحمامات والفنادق وعسكرية كالأسوار والحصون والأسواق والقصور.

– كما أثرت في العمارة المغرب فقد بنت جامع القرويين بفاس سيدة قروية ورثت ثروة عن أبيها ومثل هذا الجامع مع الزيتونة والأزهر أقدم الجامعات الاسلامية.

وبهذا قد يكون لكل دور آثار على الحضارة الاسلامية في بلاد المغرب وكان آثارهم كبير وبذلك نكون قد تم الإجابة عن الاشكالية.

حيث ساهمت مدينة في الدور العسكري أثناء الفتح الاسلامي وفي الدور السياسي بدور الحكام وسلطة بني الأمية وبني العباس وعهد الأغالبة والفاطميين في نشر الاسلام وتطور الحضاري كبير بلاد المغرب الاسلامي حيث أصبحت مركز حضاري بعد ما كانت في بداية على شكل معسكر لجند.

دور الاقتصادي شهدت القيروان تطور في الزراعة والصناعة والتجارة التي كانت لها آثار أيضا على الدور العلمي والعمراني حيث ساعدت التجارة على اشعاع المنارات والقبات والعقود

والزخرف، كما تجاوز تأثير القيروان الناحية المعمارية ليشمل الناحية الفكرية فكان أغلب طلبة القاضي سحنون من الأندلس مثل يحي بن عمر وغيرهم.

– وقد يكون هناك الباحثون آخرين يمكن لهم تعمق في الدور العلمي والعمراني مثال على ذلك دراسة حول دور العلمي في تطور العمراني أو الدور الاقتصادي وعلاقة السكان بالعمارة لمدينة القيروان وهذا مجرد اقتراح من خلال ما درست وفي عملية البحث لهذا الموضوع ...

الملاحـــــق

الملحـــــق 1

خريطة الفتح الإســـلامـــي

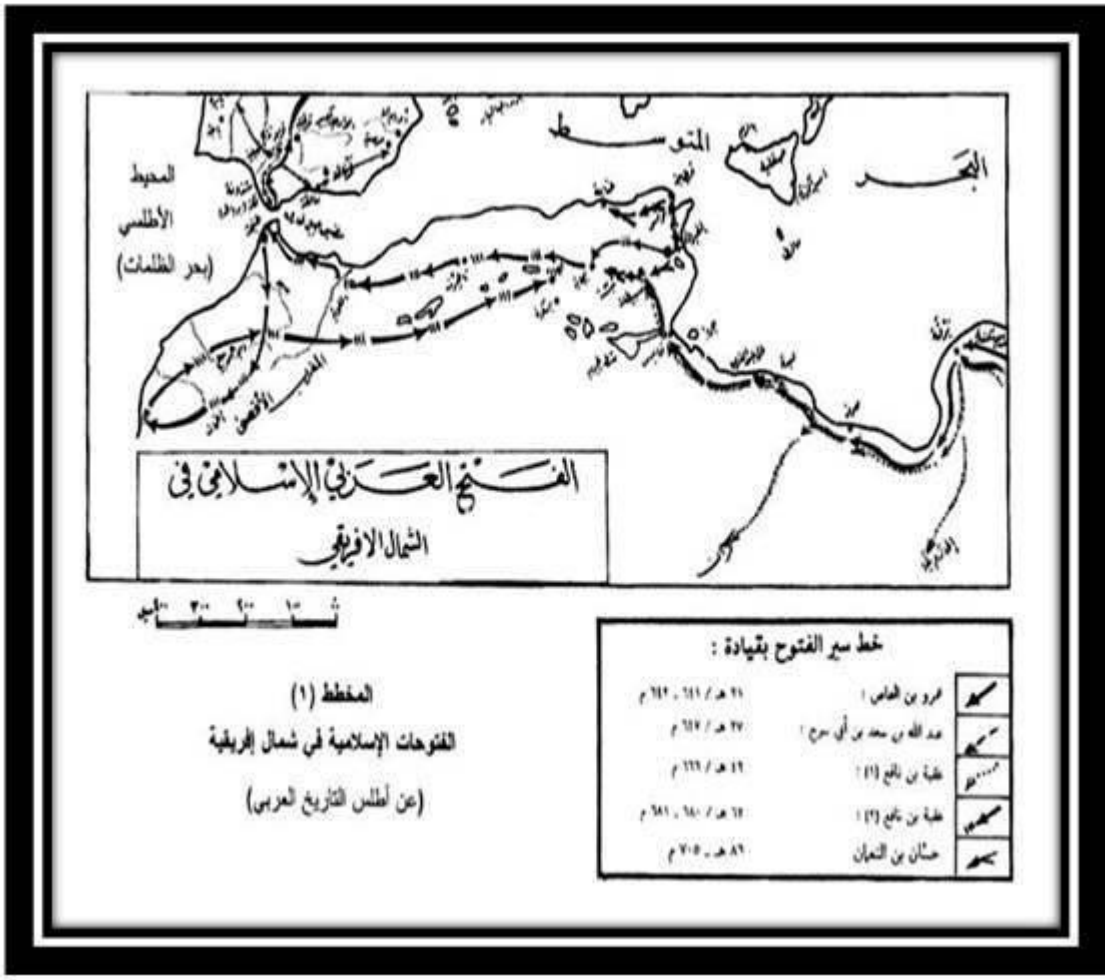

المخطط (١)

الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقية

(عن أطلس التاريخ العربي)

عن: ولاء محمد محمود، آثار وتطور العمارة الأموية على تجديد الدور الحضاري والثقافي لمسجد القيروان في عصر الدولة الأموية، مجلة المؤرخ العربي، العدد 30، المجلد الثاني، 2022، ص 44.

الملحق رقم 2

المسجد الجامع بالقيروان

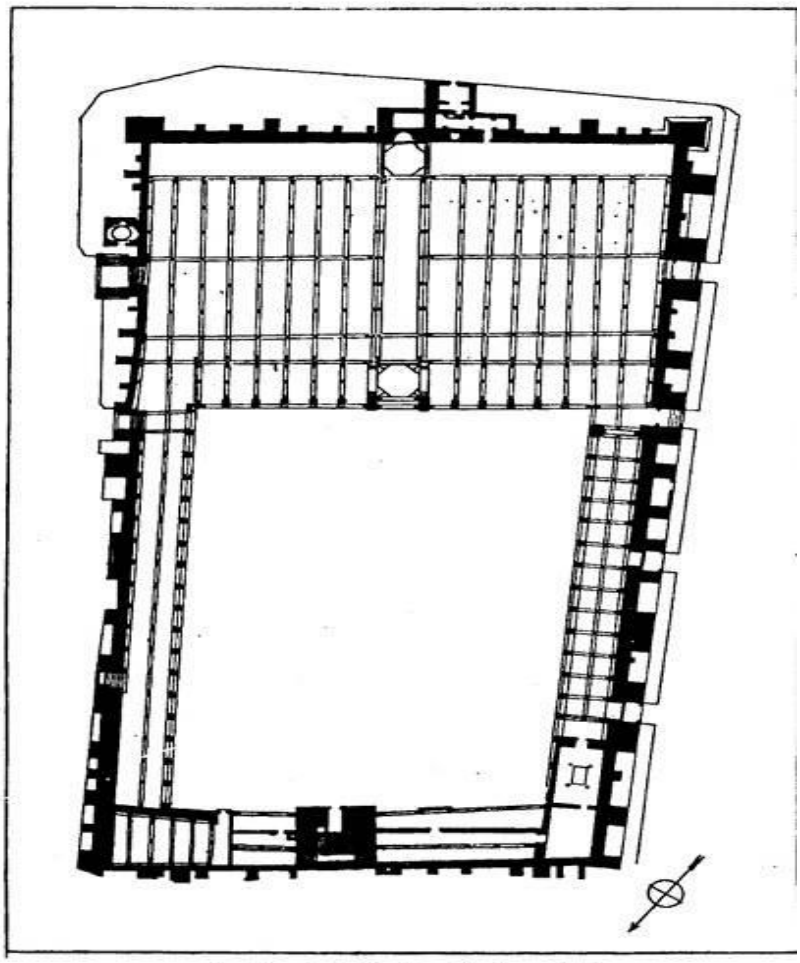

(شكل ٢) الرسم التخطيطى لمسجد القيروان

عن محمد محمود، المرجع السابق، ص 45

الملحق 3

صورة توضح محراب مسجد القيروان

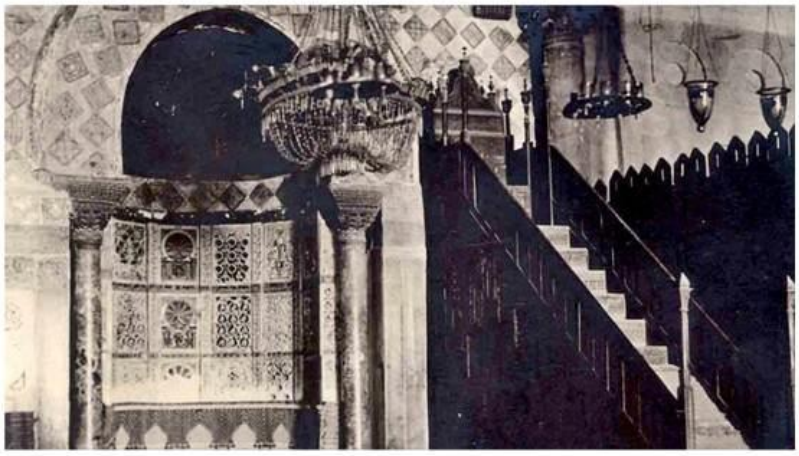

عن: أحمد فكري، المرجع السابق، ص 58.

الملحق 4

الصورة (٤) جزء من سقف المجاز الأول
(مجاز المحراب) في الجامع الأعظم

الصورة (٥) ٣ أعمدة يسار المجاز القاطع
في الجامع الأعظم

الصورة (٦) ٥ أعمدة عند تقاطع
المجاز القاطع مع مجاز المحراب والقبة

الصورة (٧) فاصل رصاص
بين جسم العمود وقاعدته

عن: محمد محمود، المرجع السابق، ص 47

الملحق 5

صورة لمنارة جامع القيروان وصورة لفسقية

عن: فطيمة مظهري، المرجع السابق، ص 794

الملحق رقم 6

صورة توضح صحن جامع القرويين

عن: إسماعيل عثمان عثمان، تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج2، الهلال العربية للنشر والتوزيع، الرباط، 1993، ص 138.

قائمة المصادر و المراجع

أولا: المصادر

1- أبي المهاجر دينار (أبو عبد الله محمد بن ابي القاسم الرعيني ت 1110هـ/ 1698م)، المؤنس في خبار افريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقية، تونس، ط3، 1957.

2- ابن أبي زرع (علي بن عبد الله أو عبد الحليم بن صالح ت 726هـ/1326م)، النيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة قابس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972.

3- ابن أبي عذارى المراكشي (أبو الحسن أحمد كان حيا سنة 712 هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج س، كولات واليفي بروفنسال،ج1، دار الثقافة، بيروت، الطبعة 2، 1980.

4- ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، تح، حسن مؤنس، ط1، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

5- ابن الأثير عن الدين (أبو الحسن علي بن محمد الجزري ت 630هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، ج3، ج4، ج5، ج6، ج10، بيروت، 1979.

6- ابن الخطيب (لسان الدين ابوعبد الله محمد بن عبد الله السلماني ت(776 هـ/ 1374م)، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الاعلام، تح وتعليق: أحمد مختار العيادي، محمد ابراهيم الكتابي، دار الكتاب، دار البيضاء، 1964.

7- ابن الصغير (كان حيا في القرن 3هـ)، أخبار الأئمة الرستميين، تح وتعليق: محمد الناصر ابراهيم بحار، ديوان المطبوعات الجميلة، 1986.

8- ابن حزم الأندلسي (على بن أحمد ت 456هـ/1063م)، جمهرة أنساب العرب، تح: ليفي برفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1948.

9- ابن حوقل (ت 367هـ/977م)، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، 1928.

10- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحم بم محمد ت808هـ/1405م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر زمن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مجلد الأول، دار ابن الحزم للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 2003.

11- ابن عبد الحكم (عبد الرحمن ت 257هـ/881م)، فتوح افريقية والأندلس، تح: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964.

12- ابن عبد الحكم (عبد الرحمن ت 257هـ/881م)، فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1961.

13- أبو العرب بن تميم (محمد بن أحمد القيرواني ت333هـ/ 944م)، طبقات علماء افريقية، تح: محمد بن أسد الحسني، دار الكتاب، بيروت.

14- أبو داوود سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تح: سيد فؤاد، القاهرة، 1955.

15- البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت 487هـ/1094م)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، نشر ديسولان، باريس، 1965.

16- البلاذري (أبو الحسن احمد بن يحي)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988.

17- حسن الوزان (بن محمد الفاسي المعروف بليون الافريقي ت 956هـ/1549م)، وصف افريقية، ج2، ط2، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار المغرب الاسلامي، بيروت، 1983.

18- الحموي (ياقوت شهاب الدين ت 626 هـ/1228م)، معجم البلدان، ج1، ج2، دار صادرة، بيروت.

19 الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي، تح: خليل عمران منصور، دار دمشق، ط 1410هـ، 1990.

20- الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن محمد الأنصاري)، معالم الايمان في معرفة أصل القيروان، ج1، تح: محمد ماضور ومحمد الأحمدي أبو النور، مكتبة الخاتجي، مصر، المكتبة العتيقة، د.ت.

21- الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب من أوساط القرن الأول الهجري إلى أواخر القرن الثاني الهجري، تح وتقديم: المنجي الكعبي، توفيق السقطي، تونس، .1968

22- الزهري محمد بن أبي بكر، كتاب جغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

23- السلاوي أحمد بن خالد الناصري (ت 1315هـ /1867م)، لاشقص في أخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب بالمغرب، دار البيضاء، 1954-1956.

24- القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح: أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

25- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، تح: فرحات البشروا، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د.ت.

26- القيرواني بن رشيق الحسن، انموذج الزمان في شعراء القيروان، تح: محمد العروسي المطوي والبشير البكوش، دار التونسية للنشر، تونس، 1986.

27- المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد ت في القرن 5 هـ/ 11م)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفصائلهم وأوصافهم، ج2، تح: بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981 .

28- المقديسي (شمس الدين أبو عبد الله)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، دار صادر بيروت، 1909.

29- النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت 732هـ /1331م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج22، تح وتعليق: مصطفى أبو ضيق أحمد، دار النشر المغربية، دار البيضاء، المغرب، د.ت.

30- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضع)، التاريخ، قدم له وعلق عليه: محمد صادق بحر العلوم ,مكتبة الحيدرية الطبعة الرابعة , التجف 1974.

ثانيا: المراجـــع

1- المراجع باللغة العربية:

1- اسماعيل عثمان عثمان، تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية للمغرب الأقصى، ج2، الهلال العربية للنشر والتوزيع، الرباط، 1993.

2- إبراهيم الغدوي، الأمويون البيزنطيون، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، مصر، 1963.

3- أحمد فكري، المسجد الجامع بالقيروان، آثار تونس الاسلامية مصادر الفن الاسلامي، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 2009.

4- ابراهيم القادري، مباحث في التاريخ الاقتصادية والاجتماعية للمغرب والأندلس، دار الطابعة، بيروت، 1998.

5- الجنحاني الحبيب، القيروان عبد العصور ازدهار الحضارة الاسلامية، الدار التونسية، تونس، 1968.

6- جودت عبد الكريم يوسف، الاقتصادية و الاجتماعية للمغرب الأوسط 3-4، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1992.

7- حسن ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، في مصر سوريا وبلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1958.

8- حسن حسيني عبد الوهاب، بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها، ابن الرشيد، مكتب المنار، الطبعة 2، تونس، 1970.

9- زعلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج3، مكتبة نشأة المعارف، الاسكندرية، 1990.

10- الصلابي على محمد، الفتح الاسلامي في الشمال الافريقي، مؤنس اقرأ، القاهرة، 2007.

11- محمد زيتون محمد، القيروان ودورها في الحضارة الاسلامية، دار المنار للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1988.

12- مرمول محمد الصالح، سياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الاسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

13- الطويلي أحمد، شهيرات القيروان ومعالم حضارية، ط1، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2013 .

14- محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1987 .

15- نجيب زينب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تقديم: أحمد ابن سودة، دار الأمير، بيروت، ج2، 1995.

16- المنعم ماجد، تاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الأمويين، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، 1966.

17- المنجي الكعبي، القيروان، مطبعة وراق، دار الشباب تونس، ط2، 2009 .

18- يوسف علي بديوي، عصر الدويلات الاسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى سقوط، صفحات من التاريخ الاسلامي تاريخ ورجال الناشئة، الأصالة، الجزائر، ط1، 2010.

19- يحي بن عمر، أحكام السوق، شركة التونسي ، تونس، 1975.

2- المراجع المعربة:

1- فرحات الدشروات، الخلافة بالمغرب، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1994.

2- محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، 184- 296هـ /800-909م التاريخ السياسي، تر: المنجي الصيادي، دار المغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 1985 .

3- الأطروحات والرسائل الجامعية:

1- محمد عليلي، الاشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستميين خلال القرنين2 -3 هـ /8-9 م، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، جامعة تلمسان، 2007- 2008 .

2- مظهري فطيمة، المظاهر الحضارية في القيروان وتيهرت إبان القرنين الثاني والثالث الهجري، رسالة جامعية لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، كلية العلوم الانسانية، قسم التاريخ، 2015 .

4- المجلات:

1- محمد محمود، أثر تطور العمارة الأموية على تجديد الدور الحضاري والثقافي لمسجد القيروان في عصر الدولة الأموية، مجلة المؤرخ العربي، العدد 30، المجلد الثاني، 2022.

2- مجلة سحر عبد المجيد المجالي : القيروان ودورها العسكري والعلمي : العلوم الانسانية العدد 2 ،2013 .

فهرس المحتويـــات

العنـــــــــوان	الصفحـة
شكر عرفان	
إهداء	
مقدمة	أ–و
الفصل الأول: الفتح الاسلامي الافريقية وتأسيس مدينة القيروان	
أولا: فتح افريقية مراحل الفتح	ص 14
1–2– ولاية عقبة بن نافع – ولاية أبي المهاجر دينار الأنصاري	ص 15– 16
3–4– ولاية عقبة بن نافع الثانية على افريقية 62هـ – ولاية زهير بن قيس البلوي 69هـ/ 688 م	ص 17– 20
5–6– ولاية حسان بن النعمان الغساني 76هـ/ 696 م – ولاية موسى بن نصير 86هـ/ 705 م	ص 21– 23
ثانيا: الأسباب لتأسيس مدينة القيروان في بلاد المغرب	ص 24
ثالثا: اختبار مكانها وأسباب	ص 25
1– تلخيص أسباب اختيار المكان	ص 26– 27
رابعا: بناء مدينة القيروان وتخطيط عقبة بن نافع	ص 27– 31
الفصل الثاني: الدور العسكري والسياسي والاقتصادي لمدينة القيروان في بلاد المغرب.	
أولا: الدور العسكري لمدينة القيروان	ص 33– 34
1– التحصينات الحربية	ص 35– 36

ثانيا: الدور السياسي لمدينة القيروان من بني أمية إلى العهد الفاطمي	ص 36
1- عصر الولاة من بني أمية وبني العباس	ص 37- 40
2- القيروان في العهد الأغلبي	ص 41- 44
3- القيروان في أوائل العصر العبيدي	ص 45- 46
ثالثا: القيروان ودورها الاقتصادي	ص 46
1- الزراعة في القيروان	ص 47- 48
2- الصناعة في القيروان	ص 49- 50
3- التجارة في القيروان	ص 50- 52
الفصل الثالث: الدور العلمي والاجتماعي والعمراني لمدينة القيروان	
أولا: الدور العلمي لمدينة القيروان	ص 55- 63
ثانيا: الدور الاجتماعي لمدينة القيروان	ص 64
1- الحالة الاجتماعية	ص 64- 66
2- المظاهر الاجتماعية في القيروان	ص 67- 72
ثالثا: الدور العمراني للقيروان	ص 73- 77
خاتمة	**ص 79- 82**
الملاحق	**ص 84- 92**
قائمة المصادر والمراجع	**ص 113- 118**
فهرس المحتويات	**ص 119-121**

ملخـــــص بالعـربيـــة:

مدينة القيروان هي أول المدن الإسلامية المشيدة في المغرب العربي، وكان لها دور حضاري في بلاد المغرب الإسلامي أنشأها عقبة بن نافع في العام 50هـ/ 670 م، لتكون مثابة قاعدة عسكرية لفتح شمال افريقية لتصبح العاصمة المغرب الاسلامي على مدى خمس قرون.

شهدت المدينة ازدهار حضاري كان له آثارا كبيرا لبلاد المغرب في الدور العسكري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والدور العلمي والاجتماعي والعمراني، كان تأثيرا كبيرا في كل أدوار الذي برزت فيهم القيروان كمركز حضاري لبلاد المغرب الاسلامي العربي. تحويل كان أمر ليس بسهل حيث بدأت في شكل معسكر للجند ثم تحولت إلى مدينة هامة وكبيرة جدا خلال القرون الثلاثة الموالية من تأسيسها.

Summary :

The city of Kairouan is the first Islamic city built in the Maghreb, and it had a civilized role in the Islamic Maghreb established by Uqba bin Nafi in the year 50 AH / 670 AD, to serve as a military base for the conquest of North Africa to become the capital of the Islamic Maghreb for five centuries.

The city witnessed a civilizational prosperity that had great effects for the Maghreb in the military, political, economic, social, scientific, social and urban role, which had a great impact on all the roles in which Kairouan emerged as a civilized center for the Arab Islamic Maghreb. Conversion was not easy, as it began as a soldier camp and then turned into a very important and large city during the next three centuries of its founding.